615
8749

الحب العذري



مُوسَى خليل سليمان

ماجستير في الآداب
مدير الدروس العربية بالقسم الاستعدادي
من جامعة بيروت الاميركية

الحبّ العُذري

دار العلم للملايين
بيروت ١٩٤٧

دُنيا الأساطير

كالشجرة على ثمرتها ، هكذا وجهي يظلل وجهكْ .

ومثل الحليـــة النفيسة ، أخبئك في أحشائي .

في الليل أعطيك غطاءكْ ، وفي النهـار رداءكْ .

« لا تخفْ ! لا تخفْ أيها الصغير الذي ربّيتُهْ !! »

من أغاني عشتروت لحبيبها تموز

لمحة تاريخية
في العشق عند الامم القديمة

جاء في الأساطير اليونانيّة القديمة أنّ الآلهة غضبت على الجنس البشريّ لوقاحته ، فوقف المشتري خطيباً بينهم وقال : « أظنني وجدتُ طريقةً لاضعاف الجنس البشريّ وتقليل وقاحته دون أن نشرع في هلاكهم . فسأشقّ كلّ واحدٍ منهم نصفين وبذا يضعفون جميعاً ... »

وهكذا كان ، وشقت الآلهة كلّ إنسان شقين كما يشقّ بعض الناس البيضة بشعرة ... وأخذ يسعى كلّ نصف للاتصال بنصفه الآخر فيُلقي أحدهما بذراعيه حول النصف الآخر مؤملا أن يعودا الى ما كانا عليه . وتشاورت الأنصاف بعضها مع بعض فقرّرت الاّ تقوم بفعلٍ ما دون النصف الآخر فماتوا جوعاً وضعفاً ... فأشفق المشتري عليهم وفكّر في حيلةٍ اخرى ، وهي التي ينتجُ منها النسل بعد انضمام الرجل للمرأة . ومن هذا التاريخ وجد الحب المتبادل بين أفراد النّوع ،وهو الموفق بين طبائعهم الأصلية . وغايته جعل الأثنين واحداً وتخفيف هول المصاب على الأنصاف المنشقة . فكل واحد من الجنس البشريّ هو نصفٌ ناقصٌ لواحد كامل ،

وغايةُ كل منا هي البحث عن نصفه الآخر[1] .

بمثل هذه الحكايات الغريبة المستحبّة كان يتغنى هوميروس ابو الشعراء ، وبمثل هذه الأساطير السحريّة تغـــذّت مخيلة الشعب اليوناني القديم،فاجلّ الحبّ وعظّمه وأحله من نفسه المحلّ الرّفيع حتى وضعه في منزلة الآلهة .

قال هصيود : « إن الفوضى سادت الكون. ثم خُلقت الأرض فكانت اساساً ثابتاً لكل شيء ، وتلاها الحب في الخليقة[2] » .

وقال بارمنيدس عن أصل الخلق : « إنّ الحبّ كان قبل غيره من الآلهة .. وهو منبع أعظم المنافع لبني الانسان[3] » .

ولم يجد سقراط رفيقاً لايجاد الاتصال بين الخلود وبين طبيعتنا البشرية الفانية غير الحب[4] » لذلك طلب من بني البشر أن يكرموا الحب ويشرفوه كما كان يُجلّه هو .

أما افلاطون الحكيم فخصّ الحبّ بسفرٍ قيّمٍ من كتبه الثمينة هو كتابُ « المائدة ».والمائدة نشيدٌ عذبٌ من أناشيـــد الروح في تمجيد الحب وتقديسه .

وافلاطون هو القائل: ان الحب رب عظيم قادر ، وهو موضع إعجاب الارباب والناس لدواع كثيرة[5] .

---

(١) مائدة أفلاطون تعريب جمة ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ وتجد أثر هـذه الاسطورة في كتاب محاضرات الادباء للاصبهاني ص : ٢٦٣

(٢) مائدة افلاطون ص : ٢١٩ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) مائدة افلاطون ص : ٢٦٢ .

(٥) مائدة افلاطون ص ٢١٩ .

وهكذا نرى ان الأغريق ، وهم بناة المدنيّة القديمة ، عرفوا ما للحب في الحياة من اهميـــة فعظّموه وقام شعراؤهم بتمجيده والتسبيح باسمه .

اما الفينيقيون فملأوا شواطىء بحرنا السخيّ بأساطيرهم الحبية الجميلة ، فعبقت مغاور بيبلوس وكهوفها ، وصخور أفقا الشّامخة بانبل واروع اسطورة حبية سطّرها التاريخ.. لقد حفظها التاريخ بين طياته باحرف من نور وهو لايزال يعيد تمثيلها امام أعيننا سنة بعد سنة باحرف من الدّم هو دمُ بطلها الأله أدونيس :

« كالشجرةعلى ثمرتها . هكذا وجهي يظلل وجهكْ
ومثـــل الحلية النفيسة ، أخبئك في أحشائي
في الليل أعطيك غطاءك ، وفي النهار رداءك
لا تخف ، لا تخف أيها الصغير الذي ربيته !! »[1]

هذه عشتروت ، إلهة الحب، تغني لحبيبها تموز ، بعد أن اجتازت الحواجز السبعة، على صوت قيثارة حبيبها الذي عاد معها الى السماء .

وتحدثنا بِلتيس ، وهي امرأة تحدرت مـــن أم يونانية وأب فينيقيّ ، وقد عاشت منذ أربعة وعشرين قرناً ، تحدثنا عن حبها المقدس ، ذلك الحب الذي عاشت لأجله وماتت لأجله . واذا ما ذكرت الأساطير بلتيس فيجب أن تذكر معها هذه البلاد السمراء بلاد الشرق ، حيث تسيطر الهيبة ويخيم السكون والرهبة ، بلتيس المرأة الشاعرة التي تقطعت أوتار نايها ، يوم توقف قلبها عن الحب والخفقان .

---

١) كتاب الاجيال – عبدالله غانم صفحة ٢١

بلتيس ، التي غنت العالم حبها بمقاطع موسيقية أشجى من الحب وأنقى من الجمال :

« تتدثر بعض النساء بالصوف الناصع البياض ،

ويلبس بعضهن الحرير والذهب ، ويتزين البعض الآخر بالأزاهر والأوراق الخضراء والعناقيد !!

أما أنا (بلتيس) فلا أطيق الحياة إلا عريانة !

فخذني يا حبيبي ، كما أنا ، بلا ثوب ، ولا حلى ولا نعال ،

دونك بلتيس وحدها ... وحدها ...

إن شعري لم يتعرف الى سواد غير سواده ،

وشفتي الحمراوين ، لا أثر للتصنع فيهما !

إن ذوائبي تتهادى حولي ، حرة ، مستديرة ، كأنها الريش الناعم !

فخذني يا حبيبي كما صنعتني امي ، في ليلة من ليالي الحب .

وإذا ما نلت اعجابك ورضاك ، وانا من أنا ، فلا تنس أن تهمس ذلك في أذني . »[1]

ولنعد الى الزمن البعيد ، الى الفراعنة القدماء ، مع الكاتبة مدام دي تنير[2] فنراها تصور الفتاة المصرية القديمة شبيهة بمغنية معبد أمون التي ترقد مومياؤها في نعش من البلور في المتحف البريطاني . . .

ها هي تناولها القيثارة ، وقد رسمت عليها مختلف الوجوه وشتى العصافير .

---

(1) Louiys Pierre ; Les Chansons de Bilitis pp. 86-87.

(٢) تاريخ الحب : مارسيل تنير ، ترجمة ابراهيم المصري ص١٠



بسيشه

« جروز »

بسيشه

بريشة جروز (١٧٢٥ - ١٨٠٥)

وكانت رائعة الجمال ... وحسدتها فينيس
وارادت الانتقام منها ...
هي حبيبة كيوبيدون ، وهي ترمز إلى
مصير النفس المنخذلة التي تتحد بعد نضال
عنيف اتحاداً أبدياً بالحب الآلهي ...

ها هي تغني قصيدة من الشعر المصري القديم :

« يا صديقي الجميل ! أتمنى أن أعيش واياك كامرأتك .

أتمنى ان تضع ذراعك على ذراعي ، وتمضي وفق هواك ،

وعندئذ أشكو لقلبي المحبوس في صدرك ، كل آلامي .

لو أنك ، يا أخي الاكبر ، لا تزورني الليلة ، فلا بد ان أصبح كسكان القبور .

أو لست أنت الصحة والحياة ؟

أو لست أنت حامل الفرح والصحة الى قلبي الذي يبحث عنك ؟

ان جماهير الاطيار تتلاقى على النهر ولكني أنصرف عنها

ولا أفكر الا فيك ياغرامي ، لان قلبي معقود بقلبك انت !»[1]

ويجيبها الفتى المصري العاشق بقوله :

« أريد ان أرقد بحجرتي لاني مريض ولأن الجيران قد وفدوا لزيارتي .

آه لو ترافقهم أختي[2] لاستطاعت اذن رد الاطباء عني لانها وحدها تعرف سر مرضي .[3]

آه عندما تأتي أختي

وبعين الحب أنظر اليها

وأني أضمها الى قلبي الخافق

وبين ذراعي أطوقها لاني لها ولانها لي ...

---

(١) تاريخ الحب : مارسيل دي تنير ص ٩

(٢) كان العاشق في مصر القديمة ينادي معشوقته بيا اختي

(٣) تاريخ الحب ص ٩ و ١٠

آه ... ان عناقها الحنون
يشبع غرامي
وعطور بلاد « بونت »
تعطرني بحلاوتها
ولما تطبق شفتيها على شفتي أثمل ولا احتاج الى خمر » [1]

*

« يا الهي، حبيبي كم يسرك ان تذهب معي،
الى البركة لأستحم في حضرتك ،
حتى أستطيع ان اسمح لك بان ترى جمالي ،
في ردائي الكتاني الملكي،
عند ما يكون مبللا ... (ملتصقا بالجسد ،
وأسبح فوق سطح الماء معك ،
وأهبط الى قاع البركة ،
وأظهر قافلة نحوك ومعي سمكة حمراء،
حيث ترقد بجمال على اصابعي .
تعال وانظر الي... ان حب حبيبتي على ذلك الجانب (الشاطىء)
وبيننا مجرى من الماء،
ويرقد هناك على الشاطىء الرملي تمساح،
ولكن عند ما اهبط الى الماء أطأ الفيضان ،
بقلب جرىء على المياه ،
وتكون المياه كاليابسة تحت قدمي ،

(1) محمد صابر : ادب الفراعنة ص ١٦٨

ان حبها يقويني ...
بلى انها تسحر المياه لاجلي !
انني أرى حبيبتي قادمة ، فليفرح قلبي !
ولتنفرج ذراعاي لاضمها !
وفي حضرتها يفرح قلبي في مكانه ... مثل الابدية
واذا ضممتها الى صدري وفتحت ذراعيها
فأكون كمن عطر من عطور « بونت » (اي عطرته برائحتها الزكية)
واذا ما قبلتها من شفتيها ، وهما مفتوحتان فاني لسعيد بدون خمر ... » [1]

ففي مثل هذه الاجواء العابقة بشذا الحب ، المختمرة بانفاس الجمال ، المشبعة بأغاني الآلهة ، عاشت الشعوب القديمة المتمدنة ، تلك الشعوب التي حملت على أكفها روح الفن ، وعلى جبينها مشعل النور ، وفي قلبها دنيا الاساطير ! . .

(١) محمد صابر : ادب القراءة صفحة : ١٦٩-١٧٠

عُصَارَةُ السِّحْرِ

« اللهم إرحم العاشقين واعطف
عليهم قلوب المعشوقين »

ابو السائب المخزومي

العشق عند العرب

أما العرب فلم يكونوا أقلّ من هـذه الشعوب فهماً للحب ومزاياه وشغفاً به وعلوقـاً بشراكه وإن قصّروا ، في الزمن الأموي ، عن تعليله وتحليله وفهم فلسفته . لقد الّفوا الكتب ونظموا الدواوين الشعريةالغزليّة تمجيداً للحب وحثاً للاحداث على العشق . فهناك عشرات المؤلفين في هـذا الفنّ من اهـل العصر الاسلامي « مثل عيسى بن داب ، والشرقي بن القطـامي ، وهشام الكلبي ، والهيثم بن عدي [1] ». وهناك عشرات ، بل مئات الكتب الحبّية التي ألفت في مختلف العصور . « فقوت القلوب في أخبار المحبّ والمحبوب،وديوان العاشقين لابن الأعرابيّ ، وامتزاج الأرواح للتميمي، وتسريح النواظر، والنزهة ، وروضة القلوب ، والرّوض النضير ، وعجيبُ الاتفاق في تطابق احوال العشّاق ، ومنازلُ الأحباب ، والزّهرة لابن داود الأصفهاني ، وتزيـين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لابن داود الأنطاكي ، وديوان الصبابـة لابن أبي حجلة المغربي ، ومصارع العشاق للسرّاج ، واخبار النساء لابن الجوزي،وكتاب عروة وعفراء ، وكتاب جميـل وبثينة ،

(١) فهرست ابن النديم ص ٤٢٥، المطبعة الرحمانية ، مصر .

وكتاب كثير عزّة ، وقيس ولبنى ، ومجنون ليلى ، وكتاب وضّاح اليمن وأمّ البنين، وكتاب عمر ابن أبي ربيعة، وكتاب عاشق الكفّ وعاشق الصورة [1] »، كلها اسماء لكتب حبيّة مختلفة تحمل الينا أخبار العشاق والمغرمين، وفيها الطريف المستحبّ والسخيف الموضوع . وقد وصل الينا بعضها والبعض الآخر لم تقع عليه عين . وهذه المصنّفات ، وإن كانت غير مبوبة تبويباً علمياً ، او منظّمة تنظيما عقلياً ، كما هو الحال في اكثر الكتب العربية القديمة ، فهي جامعة لمعظم الاخبار الحبيّة المسموعة عن العرب وعن سائر الامم، لا يستطيع القارىء بعد الاطّلاع عليها او على بعضها الاّ ان يدهش لغرابة هذه الأخبار وطرافتها كما سنرى .

والذي يدلّ دلالةً صريحة على تقدير العرب لفضائل الحبّ الروحية ومزاياه العالية اهتمام الرجال العظام منهم بالمحبين المتيمين وشفقتهم على العشاق وحثّ بعض ادبائهم الاحداثَ على العشق . سأل ذو الرئاستين أحداثاً من أحداث اهله : « هل فيكم عاشق ؟ فقالوا لا ، فقال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان العي ، ويفتح حيلة البليد والمخبّل ، ويبعث على التنظف وتحسن اللباس وتطييب المطعم ، ويدعو الى الحركة والذكاء وتشرّف الهمة [2] . »

والروايات كثيرة عن رجال العرب العظام الذين اشفقوا على العشاق. منهم المهديّ وقد نمي اليه يوماً ان غلاماً شاباً له ذؤابتان

---

(١) الفهرست ص ٤٢٥ و٤٢٦ وما لا يوجد من هذه الاسماء في الفهرست موجود هنا وهناك في بعض المصادر كتزيين الاسواق وديوان الصبابة .

(٢) مصارع العشاق للسراج ص : ٢٣٠

كأنه قصب قصة ، موجود في خلوة مع جارية في إحدى غرف القصر . ولما احضر الشاب بين يدي الخليفة ، فهم انه كان يحب الجارية قبل بيعها الى امير المؤمنين . فجاءها معرضاً حياته للخطر لعله يحظى برؤيتها . وما كاد المهدي يسمع كلامه حتى امر بضرب عنقه واحضار سيف ونطع . فلما أتي بذلك وأجلس الغلام في النطع تذكر حبيبته وهاجت قريحته فراح يتغنى بها :

ولقد ذكرتك والذي أنا عبده   والسيفُ بين ذؤابتي مسلول

فأطرق المهديّ واغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : يا غلام إئتني بأزار ، فأتي به فقال : الفقهما به جميعاً ... واخرجهما عن قصري . ففعل ذلك [1]. »

وروى أبو محمد بن حزم قال : « قال رجل لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها . فقال عمر ذاك مما لا يملك [2]. »

وروى الاصمعي عن عمر بن الخطاب أيضاً قوله : « لو ادركت عفراء وعروة لجمعتُ بينهما [3]. »

وذكر التميمي في كتابه المسمّى بامتزاج النفوس « أنّ معاوية ابن أبي سفيان اشترى جارية من البحرين فأعجب بها اعجاباً شديداً فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها :

وفارقته كالغصن يهتزّ في الثرى   طريراً وسيماً بعدُ ما طرّ شاربه

(١) مصارع العشاق ص ٦٨

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن الجوزية ص ١٥٦

(٣) كتاب اخبار النساء لابن قيم الجوزية ص ٣٣



الحب ينتصر

« واطس »

الحب ينتصر

بريشة واطس (١٨١٨ - ١٩٠٤)

ينبئنا التاريخ أنّ العنف وحـــده مآله الخذلان ، وأنّ القوّة لا يثبت لها ملك ، وأنّ الشرائع والقوانين لا تدوم صولتها ، أما الحبّ فيعلو الى طبقات الأثير ، يكسر الحواجز ويغزو المخاوف ، وينسي الماضي والمستقبل ويجمعُ بين الجنّة في الأرض والفردوس في السماء !

فسألها فقالت : هو ابن عمي. فردّها اليه وفي قلبه منها![1] »

وجاءت جارية الى عثمان بن عفّان تستعدي على رجل من الأنصار لأنها كلفت بابن أخيه فخيّر الخليفة الانصاريّ قائلا : « إما أن تهبها لابن أخيك أو أعطيك ثمنها من مالي . فقـال : أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له[2] ».

وكذلك رووا أنّ أبا بكر الصدّيق بعث الى مولى إحـدى الجواري المغرمات فاشتراهـا منه وبعث بها الى حبيبها وقال : « هؤلاء فِتَن الرجال وكم قد مات بهنّ من كريم وعطب عليهنّ من سليم[3] » حتى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الصالح ، كان يصل بين القلوب المتحابة عندما يتصل به خبر احد العشاق الذين لا تساعدهم الظروف على الاجتماع بحبيباتهم[4] »

وبلغ من مجون الرواة وظرفهم أن رووا الحـكايات الجميلة عن المحبين وعشيقاتهم وهم في اقدس مكان من مشاعر الله . قال الزبير ابن بكار عن مصعب الزبيري عن عبدالرحمن بن أبي الحسن : «خرج ابوحازم يرمي الجمار ومعه قوم متعبدون ،وهو يكلمهم ويحـدّثهم ويقص عليهم . فبينما هو يمشي وهم معـه اد نظر الى فتاة مستترة بخمارها ترمي الناس بطرفها يمنة ويسرة ، وقـد شغلت الناس وهم ينظرون اليها مبهوتين ، وقد خبط بعضهم بعضاً في الطريق ، فرآها

---

(١) روضة المحبين ص ٤٠٨

(٢) روضة المحبين ص : ٤٠٧

(٣) روضة المحبين ٤٠٧

(٤) مصارع العشاق ص ٦٨

ابو حازم فقال : يا هـذه اتقي الله فانك في مشعرٍ من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنتِ الناس فاضربي بخمارك عـلى جيبك فان الله عزّ وجلّ يقول :(وليضربن بخُمرهنّ على جيوبهنّ [1])فاقبلت تضحك من كلامه وقالت : اني والله :

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا [2]

فأقبل ابو حازم على اصحابه وقال : تعالوا ندعو الله ان لا يعذّب هذه الصورة الحسناء بالنّار . فجعـــل يدعو واصحابه يؤمّنون [3]» .

وكانت الصلاة رحمةً واجبةً على الوجه الجميل في نظر بعضهم . قال يحيى بن سفيان : « رأيتُ بمصر جاريةً بيعت بألف دينار فما رأيتُ وجهاً قطّ احسن من وجهها صلى الله عليها!» فقال له احدهم : « يا ابا زكريا مثلك يقولُ هذا مع ورعك وفقهك؟!» فقال :« وما تنكرُ عليّ من ذلك ؟ صلى الله عليها وعلى كلّ مليحٍ يا ابن أخي ! الصلاة رحمة [4] » .

وروي عن الأصمعيّ أنه قال : « بينا أنا اطوف بالبيت إذا أنا بجارية « متعلقة » باستار الكعبة وهي تقول :

لن يقبل الله من معشوقةٍ عملاً يوماً ووامقُها غضبانُ مهجورُ

---

(١) سورة النور ، الآية ٣١ .

(٢) البيت للعرجيّ .

(٣) روضة المحبين ص ٢٦١ – ٢٦٢ وفي الاغاني وتحفة العروس : قال وبلغ ذلك سعيد بن المسيّب فقـال اما لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها : أغربي قبحك الله ولكنه ظرف عبّاد الحجاز .

(٤) اخبار النساء للجوزي ص ٨

وكيف يأجرُها في قتل عاشقها　　لكن عاشقها في ذاك مأجورُ

فقلت لها : يرحمكِ الله أفي مثل هذا الموضع تنشدين هـذا ؟ فقالت اليك عني يا عراقيّ لأرهقنّك . فقلتُ لهـا وما الحبّ ؟ فقالت : هيهات جلّ والله عن أن يُحصى وخفي عن أن يُرى . فهو كامنٌ ككمون النار في حجرها ، إن قدحتَهُ ورى وإن تركته توارى . ثم أنشأت تقول :

إنسٌ غرائرُ ما هممن بريبـةٍ　　كظباء مكة صيدُهنّ حرامُ
يُحسبن من لين الحديث فواسقاً　　ويصُدّهنّ عن الخنا الاسلام [1]

وكان ابو السّائب المخزومي احد القرّاء والفقهاء فرؤي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

« اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين . فقيل له في ذلك فقال : الدّعاء لهم أفضل من عُمرةٍ في الجعرانة [2] »

ومن اجمل ما يروى عن الحسن البصري وهو من هو في العلم والدين أن امرأة جميلة دخلت عليه فقالت : « يا أبا سعيد أيحـلّ للرجال أن يتزوجوا على النساء ؟ قال نعم . قالت وعلى مثلي ؟ ثم سفرت عن وجهٍ لم يُرَ مثله حسناً وقالت : يا أبا سعيد لا تُفتوا الرجال بهذا . ثم ولّت . فقال الحسن : ما على رجل كانت هذه في بيته ما فاته من الدنيا [3] » .

ورووا أن الحارث بن خالد المخزومي ، والي مكة لعبدالملك

(١) الزهرة لابن داود الاصفهاني ص ٦٧ — ٦٨

(٢) ديوان الصبابة ج ١ : ص ٣٠ وروضة المحبين ص ٤١٧

(٣) روضة المحبين ص ٢٤٢ .

ابن مروان ، استهيم بحب عائشة بنت طلحة ، وكانت ذات جمـــال ومكانة وشرف . وحجّت عام ولايته فارسلت اليه تسأله أن يؤخر الصلاة حتى تفرغ من طوافها ففعل . فأنكر اهلُ الموسم ذلك من فعله واعظموه،فعزله عبد الملك وكتب اليه يؤنبه فيما فعل،فقال: ما أهونَ والله غضبه إذا رَضيَت!والله لو لم تفرغ من طوافها الى الليل لأخرتُ الصلاة الى الليل [1] !

ولم يقف الرواة عند هذا الحدّ في رواياتهم فقد زعموا أن النبيّ العربيّ الكريم حدّث أن من مات محباً عاشقاً فالشهادة أجره. « من عشق فظفر ، فعفّ فمات ، مات شهيداً [2] » .

« ولقد كنا روينـا عن سعيدٍ عن قتاده
عن سعيد بن المسيّب أن سعد بن عبـــاده
قال من مات محبـــاً فله أجرُ الشهاده [3] »

وحدّث محمد بن داود الأصبهاني قال سُويد: «حدّثنا بنْ سعيد قال: حدثنا علي بن مسهر عن ابن يحيى القتات عن مجاهد، عن ابن عباس عن النبي صّلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عشق وكتم وعفّ وصبر غفر الله له وادخله الجنّة [4] » وكان النبي العربي يحبّ الجمال ويقدر الحسن اينما كان . قال .

(١) الاغاني بولاق ج٣ : ١٠٣
(٢) مصارع العشاق ص ٤
(٣) مصارع العشاق ص : ٤٢٠
(٤) مصارع ص : ٤ .

« اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه [1] »
وقال ايضاً: «إذا خرج الرجلُ الى اخوانه فليجملنّ نفسه فإن الله جميلٌ يحبّ الجمال [2] ».
وتحدث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ الله ليعجبُ من شاب لا صبوة له [3] »وعن ابن عباس انه قال : قال رسول الله (ص) : « النظر الى الوجـــه الحسن يجلو البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث الفلج [4] » .
وقيل إن عائشة حدّثت أن النبي كان يقبّلهـــا وهو صائم . وسئلت ام سلمة في ذلك فـــلم تنكر بل قالت : إن رسول الله (ص) كان إذا رأى عائشة لم يتمالك عنها . أما انا فــــلا [5] .
وقال بيان عن الشعبي إن عائشة كانت أحب امهات المؤمنـين الى قلب النبي . وفرض عمر بن الخطاب لامهات المؤمنين عشرة آلاف عشرة آلاف وزاد عائشة الفين وقال : إنهـــا حبيبة رسول الله !!
وكان مسروق اذا حدّث عن عائشة يقول : حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق حبيبة رسول رب العالمين المبرأة من فوق سبع سماوات .[6]
فهذا الود والحنين من النبي لعائشة وهذه القُبلات الزكيّة تحـدّث عنها بفخر وكبرياء هي التي تجعـل من النبي العربي الكريم إنساناً

---

(1) ديوان الصبابة ص٣٩ ويروى اطلبوا الخير . . . راجـع في روضة المحبين ص١٣٥ تعليقاً على هذا الحديث . ورسالة ابن سينا في العشق ص١٦ .
(٢) ديوان الصبابة ص ٣٨ (٣) تزيين الاسواق ١ : ٧ وروضة المحبين ص ٣٤٧ رواه احمد بن حنبل في مسنده (٤) اخبار النساء ص ٨ (٥) روضة المحبين ص ١٨٦ (٦) روضة المحبين ص ١٨٧

صحيحاً يشعر بشعور الناس ويأنس قلبه وعيناه الى الوجه الوسيم الجميل كما يأنس كل انسان مرهف الشعور ، دقيق العواطف . ولله ما أروع قوله وأنبل هذا التقرّب منه من أبناء البشر عندما يقول: «جُعلت قرّة عيني في الصلاة ، وحبّب اليّ النساء والطّيب . الجائع يشبع والظمآن يُروى ، وأنا لا اشبع من حب الصّلاة والنساء[1] » .

وهكذا نرى ان المرأة العربية تمتعت في هذا العصر بحرّية اجتماعية واسعة ، ففرضت بعض النساء نفوسهنّ على مجتمعهن وتألقت في الجوّ الأدبي الاجتماعي اسماء نسائية كثيرة كسُكينة بنت الحسين ، وفاطمة بنت عبدالملك ، وعاتكة بنت يزيد ، وعائشة بنت طلحة ، وأم البنين اخت عمر بن عبدالعزيز وزوجة الوليد بن عبدالملك وغيرهن كثيرات. وبلغت الحريةُ بسكينة أن أحلفت زوجها حين تزوجتهُ ، أن لا يمنعها سفراً ولا مدخلًا ولا مخرجاً[2] وقدمت مكّة مرّةَ فاتاها الغريضُ ومعبدٌ فغنياها :

عوجي علينا ربةَ الهودج إنك إن لم تفعلي تُحرجي

فقالت والله مالكما مثلٌ الا ّ الجَدْيين الحارّ والبارد ، لا يُدرى أيهما أطيب[3] . وكانت جميلةً ولها ابنةٌ لاتقلّ عنها جمالا قالت فيها بعد أن البستها دراَ كثيراً : والله ما البستها إياه الا

(١) روضة المحبين ص ٢٢٠ وراجع ايضا فتح الله حمزة : حقوق المرأة في الاسلام ص ٢٢و٢٤ وراجع ايضا الادهمي : مرآة النساء ص ٧

(٢) الاغاني بولاق ١٧ : ٩٣

(٣) عيون الاخبار ٤ : ٩٠

لتفضحه . وكانت خبيرة باحوال العشّاق ، عليمةً بما يكنّون وما يشعرون . ذكروا أنها ركبت في جواريها فمرّت بعروة ، بن أذينة الليثي وهو يغني فقالت لجواريها من الشيخ ؟ قالوا عروة، فعدلت نحوه ثم قالت : يا أبا التمام انت تزعم أنــــك لم تعشق قطّ وانت تقول :

قالت وابثهـــا وجدي فبحتُ به
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

الست تبصرُ من حولي ؟ فقلت لهـا
غطّى هواك وما القى عـلى بصري

كلّ من ترى حولي من جواريّ أحرار إن كان خرج هـذا الكلام من قلب سليم قط [1] .

ولأمّ البنين قصص كثيرة في ميادين الحبّ والجرأة الأدبيّة . قالت مرّة لعزّة صاحبة كثيّر : « أخبريني عن قول كثيّـر :

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه   وعزّةُ ممطولٌ معنّى غريمها

أخبريني ما ذلك الدّين ؟ قالت : وعدته قبلةً فحرجتُ منها، قالت أمّ البنين : أنجزيها وعليّ إثمها [2] »

ولبعض الخلفاء وغيرهم من أشراف العرب الأولين وادبائهم اقوالٌ كثيرةٌ في الجمال وانواعه تبيّن لنا ، فضـلاً عن اهتمامهم الشـــديد بالمرأة ، كيف كانوا ينظرون الى الحسن وكيف كانوا

---

(١) الزهرة ص ٣١٤ - ٣١٥، راجع ايضاً قصص العرب ج٢ : ص٢٥٣ تجد بيتين آخرين .

(٢) عيون الاخبار ج ٤ : ٩٢

يقدّرونه ... كانت عائشة تقول : البياض نصفُ الحسن . كذلك قال عمر بن الخطاب : اذا تمّ بياضُ المرأة في حسن شعرها فقد تمّ حسنها [١] . وكان عليّ بن ابي طالب يضع الصباحة أولى خصائص بني قومه ويفاخر بها [٢] . وكان ابن الاعرابي يقول : الحلاوة في العينين والجمال في الانف ، والملاحة في الفم [٣] ! ولهم نظرات في المرأة وجمالها لاتخلو من الصواب والطرافة . من ذلك رأى للحجاج : لا يحسن نحر المرأة ، حتى يعظم ثدياها [٤] . وكان عليّ يقول : لا تحسن المرأة حتى تروّي الرضيع وتدفىء الضجيع [٥] . اما قوله في السمراء ففيه إعجاب ظاهر بجمال السمراوات وسحرهنّ الاخاذ قال : من تزوّج سمراء فطلقها فعليّ مهرها [٦] .

وبلغ من تقدير احد المعلمين للجمال أنه كان يُقعد أبناء المياسير والحسان الوجوه في الظل ويقعد الاخرين في الشمس ويقول : ياأهل الجنة ابزقوا في وجوه أهل النار [٧] ! ورووا ان كثيرين من علماء الحديث والمفتين ورجال الدين كالشافعي وأنس بن مالك وعمرو بن سفيان وأبي حنيفة وغيرهم حللوا للعشاق ما لم يحلل لغيرهم . فالنظر الى المرأة المخطوبة من قبل خطيبها واجب . ألم يقل النبي الكريم لخاطبٍ جاء يستشيره في نكاح خطيبته وكان لم يرها بعد : « اذهب فانظر اليها [٨] » ؟ وقبلة العاشق لم يحرّمها الله . ألم يفتِ بذلك

---

(١) روضة المحبين ص ٢٥٨ – ٢٥٩ (٢) عيون الاخبار ٤ : ٢٥
(٣) عيون الاخبار ٤ : ٢٧ (٤) عيون الاخبار ٤ : ٣٠
(٥) نفس المصدر والصفحة (٦) نفس المصدر ص ٤١
(٧) نفس المصدر ص٣٩ (٨) روضة المحبين ص ١٢٣



القبلة

« كارنو »

القبلة

بريشة رودين (١٨٤٠ - ١٩١٧)

من أشهر روائـع النّحت ويكفي أن تؤلف ، مع قطع أخرى غيرهـا « باب الجحيم » إحدى روائع رودين الخالدة ...

كثيرون ؟ قال ابن سفيان بن مُرخية :

إنا سألنـــا مالكاً وقرينـه ليث بن سعدٍ عن لثام الوامق
أيجوز ؟ قالا والذي خلق الورى ما حرّم الرحمن قبـلة عاشق [1]

وروي عن عبدالله بن عمر انه قـال : خرج سهمي يوم جلولاء جارية كأنّ عنقها ابريق فضّة فما ملكت نفسي ان قمت اليهـا فقبلتها .

فهذه الاحاديث ، ومثلها كثير ، تروى عن النبي الكريم وهذه الحكايات الأدبية المشحونة بها كتب الأدب العربي القديم عن الخلفاء والامراء العظام والعلماء ورجـال الدين شجعت العشاق والمغرمين على التمادي في حبهم وعشقهم فكانت لنا الحكايات الغريبـة المستبعدة الوقوع ، وكان لنا هذا الفن القصصي الغزلي الذي عرف في صدر الاسلام ، وكانت لنا هذه النهضة الشعرية الغزليّة التي حمل لواءها عمر ابن أبي ربيعة من ناحية وجميل بن معمر من ناحية أخرى .

وأطلق الرّواة لأنفسهم العنان فراحوا يجمعون بين العشاق في في الاحلام ويحيكون حولهم القصص الخرافية ، الفكاهية .

فهناك مغنية جميلة ترمي بنفسها في نهر دجلة من اجـل عشيقها فيلحق بها ثم يتعانقان في الماء ليغرقا معاً [2] .

وهناك رجلٌ من بني أسد يعشق جارية بالكوفة فيتعاظم أمره حتى يموت بحبها فيضعُ الناس كتاباً في ذلك [3] .

---

(١) روضة المحبين ص ١٢٥ .

(٢) مصارع العشاق ص : ٧٢ .

(٣) مصارع ص : ٤١٢ .

وهناك من يُلقّب أحدَ العشاق بسيّد العاشقين ويدعو الناس لينحروا على قبره سبعين نحرة كما كبّر النبيّ على عمه حمزة سبعين تكبيرة .[1]

وهناك الحبيبة المولهة التي يُقطع لحمها قطعاً قطعاً وهي لاتشعر لأن الطبيب كان يذكر أمامها اسم الحبيب[2] !

وهناك المرأة التي تنذر الصمت الأبكم ويلازمها الخرس مدّة حياتها بعد موت زوجها لانه كان معجباً بنغمتها فتوفي فآلت الاّ تتكلم بعده ابداً[3] .

ويتقدّم احدُ الناس من عالم جليل يشكو له ابنه لأنه قد عشق فيجيبه العالم : « الحمد لله . الآن رقّت حواشيه[4] ». وقيل لآخر مثل ذلك فقال : « اذا عشق لطف[5] » .

وتمادى العشاق في عشقهم فلم يرَ الحبيب حرجاً أو اثماً في أن يتذلل امام حبيبه بل اخذوا يتفاخرون بذلك.قال ابوزهيرالمديني: العشقُ هو الجنون وهو داء أهل الظرف[6] . واخذوا يعزّون العشاق الذين لا تحبهم حبيباتهم بمثل هذه الحكاية الطريفة : قال بعضهم : « وجدت بمكة شاباً مصفرّاً ناحلًا فسألته عن حاله فقال : بُليت بوصيفة فذهب رأس مالي بثمنها ونفقتها وليست تحبني . فقلت استمتع بها وعدّها بعض نعم الدنيا والآخرة . هل تحبّك العافية ؟ هل تحبك الصحة ؟ هل يحبك المال ؟ هل تحبك الجنة ؟ فقال لا .

---

(١) مصارع ص : ٤١٩ . (٢) مصارع ص : ٢٧ .
(٣) اخبار النساء ص : ٦٨ . (٤) ديوان الصبابة ص: ٢٤ .
(٥) ديوان الصبابة ص ٢٤ . (٦) مصارع العشاق ص ٣

فقلت اليس تحب كل ذلك ؟ وتتمتع به مع انه لا يحبك ؟ فهبهـا بعض نعم دنياك وآخرتك . فقام كالمسرور ورجع اليها وساهلها في سوء خلقها حتى رجع الله تعالى بقلبها اليه وطاب عيشه معها [1]

وجاء في روضة المحبين عن المحبّة أنها شجرة في القلب ، عروقها الذلّ للمحبوب [2] . وفي موضع آخر « والحب مبنيّ على الذلّ ولا يأنف العزيز الذي لا يذل لشيء من ذلّه لمحبوبه ، ولا يعـده نقصاً ولا عيباً بل كثيرٌ منهم يعدّ ذله عزاً [3] .

مساكين أهل الحب حتى قبورهم   عليها تراب الذل دون المقابر

أما العشيقات الكثيرات فلم يرين مذلة وهواناً في ان يمرغن خدودهنّ بتراب قبور احبائهن حزناً عليهم وتحسراً . وانتشرت هذه الطريقة في الادب . فالشاعر الغزلي عليه في الدرجـة الاولى ان يتذلل أمام الحبيبة وان يسفح ماء وجهه وكبرياءه امامهـا ، مظهراً لها شدة هيامه وتدلهه في حبهـا وإلا فليس هو بعاشق . ألم يعب ابن أبي عتيق على عمر بن ابي ربيعـة افتخاره بنفسه وتشبّبه بجماله عندما سمعه ينشد ابياته الطريفة المعروفة :

« قلن يسترضينها منيتُنا   لو أتانا اليوم في سرّ عمر!
بينا يذكرنني ابصرنني   دون قيد الميل يعدو بي الأغر
فلن تعرفن الفتى؟ قلن نعم   قد عرفناه وهل يخفى القمر [4] »

فقال له ابن أبي عتيق: « أنت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك .

---

(١) محاضرات الادباء ٢ : ٢٣   (٢) روضة المحبين ص ٤٣٦

(٣) روضة المحبين ص ٣٠١ — ٣٠٢

(٤) شعر عمر ابن أبي ربيعة ، المجلد الاول ليبسك ١٣١٨ ص ٣١

كان ينبغي أن تقول : قلت لهـــا فقالت لي ، فوضعتُ خدّي فوطئت عليه . »

فانت ترى من هذا وبما مرّ سابقاً أنّ العشّاق ليسوا من طينة البشر ، وأن البشر أخذوا يحيطون العشّاق بهالات القداسة والغرابة فيزعمون لهم ما لا يدخلُ في عقلٍ ويدّعون لهم الحكايات العجيبة الغريبـة . « فذنوب العشّاق ذنوبُ اضطرار لا ذنوب اختيار [1] » اما قبورهم فأعظمُ القبور وترابهـا ترابٌ مقدّس « .. لا والله ما أذلّ اللهُ تراب قـــبر عاشقٍ قطّ بل أجلّهُ وشرّفه ونضره وحسّنه [2] » . ومثلُ هذه الحكايات والروايات يملأ الكتب الأدبيّة العربية ، وهي ، على ما فيهـا من مبالغات فاحشة ، صورةٌ حيّة لحياة القوم الاجتماعية ، تمثّلُ لنا تفننهم الغريب في حبّهم ومبلـغ اهتمامهم بعشاقهم ، فضلاً عن الرّوح الفكهة ، الادبيّة التي تنضحُ بها كلٌّ من هذه الحكايات المستملحة ! !

وما قولك في قبري عُروة وعفراء ، بـــين صنعاء ومكة ، وفي الشجرتين اللتين نبتتا عليهما حتى اذا صارتا عـلى قامةٍ التفّت أغصانهما فكان الناس يقولون : تآلفا في الحياة وفي الممات [3] ؟ ! ماقولك في ذلك وفي امثاله من الحكايات؟ إنه لتفنن لم يسبقهم إليه شعبٌ آخر على ما أرى ! وامعنوا في هذا التفنن حتى ادّعى الثعالبي في فقه اللغة : أن التناكح وقع بين الأنس والجن [4] . كذلك زعموا

---

(١) مصارع العشاق ص : ٣ (٢) مصارع العشاق ص : ٨٥

(٣) مصارع ص ١٧٢ (٤) ديوان الصبابة ١ : ٥٧

أنّ عمرو بن يربوع بن حنظلة تزوج سعلاة[1] . حتى النخيل، نخيلُ العرب، كان يعشقُ حتى يبرّحه العشق[2] . أما عن عشق الحيوانات والطيور وعن حنين بعضها الى بعض فحدّث ولا حرج [3] . ألم تسمع بانثى ذلك البطّ التي ماتت حزناً على اليفها لأنه ذبح ؟ [4]

ألم تسمع بقصة ذلك البلبل العجيبة، بلبل امرأة الحكم، وكان ينظر اليها وهو في قفصه فيصفرُ لها ؟ فلما رآها قد دعت يوسف تراوده عن نفسه ناداه بالعبرانية : يا يوسف لا تزنِ فأنّ الطير فينا اذا زنى تناثر ريشه [5] . وهذه الطيور، طيور العرب العاشقة، تفهم الشعر والغزل، ولها أناشيد تتغزل بها منها انشودة الزّاغ [6] :

أنا الزّاغ ابو عجوة أنا ابن الليث واللبوة
أحبْ الرّاح والرّيحان والنشوة والقهوة !!

ولو أردنا تعداد مثل هذه الروايات الطريفة لاستغرق ذلك صفحاتٍ وصفحات . ولكننا نكتفي بالقليل منها على أن نلمّ ببعض التعاريف للحبّ في نظر العرب او بالأحرى في نظر رواتهم وبعض علمائهم وادبائهم . لقد أخذ هؤلاء الرواة، وقد اشتهر في ميدان الحب والعشق اكثر من عاشق، يهتمّون بتدوين الكتب ووضع التعاريف المختلفة للعشق . فابن قيّم الجوزية يضع في كتابه : « روضة المحبين [7] » نحو خمسين اسماً للحبّ . فهو المحبة، والعلاقة،

---

(١) مواسم الادب ١ : ٢٨٧
(٢) مصارع ص ٣٠٨
(٣) ديوان الصبابة ٢ : ٧٣
(٤) مصارع العشاق ص : ٤٢٤
(٥) مصارع ص : ٥٣ .
(٦) مصارع ص : ٥٢ .
(٧) روضة المحبين من ص : ١٩ الى ٦١ .

والهوى ، والصبوة ، والصبابة ، والشغف ، والمقة ، والوجـــد ، والكلف ، والعشق ، والجوى ، والشوق ، والشجو ، والتباريح ، والشجن ، والارق ، واللوعة ، والجنون ، والفتون واللاعج الخ الخ ويأخذ في تحليل كل نوع من هذه الانواع وينظر في اشتقاقها ونسبة بعضها الى بعضها في بحثٍ مستفيض يستغرق نحو اربعين صفحـــة من كتابه .

ويبحث الراغب الاصبهاني في كتابه « محاضرات الأدباء »[1] في الهوى واحوال العشاق وماهيّة العشق وفروعه وانواعه فيقول :

قال العلماء : الهوى انواع اوله العلاقة وهو الشيء يحـــدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصيرُ محبةً . والحب اسم مشترك يجمعُ ضروباً من ميل النفس كحبّ الوّلد والمال ثم الهوى ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله والهيام والتتّيم وهو ارفعُ درجات الحب لأنه التعبّد .

كذلك يصنف النويري الحبّ في كتابه « نهاية الأرب [2] » إلى اصناف ومراتب . فهناك الغزل والنسيب والهوى ، والمحبـة والعشق . وهناك المودة التي تقوى فتصير محبة ثم هوىً ، ثم عشقاً ثم يصير العشق تتيّماً ثم يزيد التتّيم فيصير ولهاً (والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطّل عن احوال التمييز)

وقد تضاربت آراؤهم في تحديـــد العشق وتعريفه إذ فهمه الحضريون على طريقتهم والأعراب على طريقة أخرى . وذلك لأن

(١) محاضرات الادباء ج٢ : ١٧ .

(٢) نهاية الادب ج ٢ : ١٣٤ و١٣٨

الحب ليس من المواضيع التي يسهل تعريفها .

وحكي عن الاصمعي ايضاً انه حـــدّد العشق بقوله : « إذا تقاربت الاخلاق المشاكلة وتمازجت الارواح المشابهـــة لمح نور ساطع يستضيء به العقلُ وتهتزّ لاشراقه طباع الحياة ، ويتصور من ذلك النور خلقٌ خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى العشق[1] . »

ومن لطيف ما ذكروه عن اسباب العشق ونتائجه قول احد الحكماء الأوائل وقد ذكره النويري قال [2] :

« وقد ذكر حكماء الأوائل أنه اذا وقعت القبل بين المتحابّين ووصلت بِلّةٌ من ريق كل واحد منهما الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد . وهكذا اذا تنفس كل واحد منهما في وجـــه صاحبه ، فانه يخرج مع ذلك النفس شيء من نسيم كل واحد منهما فيختلط باجزاء الهـــواء ، فاذا استنشق من ذلك الهواء دخل في الخياشم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه كسريان النور في جسم البلور، ووصل بعضه الى جرم الرئة ثم الى القلب فيدبّ في العروق الضوارب في جميع البدن . فينعقد في بدن هذا ما تحلّل من بدن هـــذا فيصير مزاجاً فيتولد به العشق وينمى ... »

ومدح العشق كثيرون وذمّه كثيرون . قالوا : « العشق يولّد الاخلاق الحميدة . وقالوا : إنه لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجّع الجبان ويصفي الأذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً » . واتهموا

(١) نهاية الارب ٢ : ١٣٧ .

(٢) نهاية الارب ٢ : ١٤٧ .

من لم يحب باشنع التهم وألصقوا به أشنع الاوصاف : فهو رديء التركيب ، جافي الطبع ، كزّ المعاطف . وقالوا : لا يسلم أحد من العشق إلا الجلف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم . فاما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة اهل الحجاز فهيهات[1] !

قال الجاحظ في احدى رسائله : « تأملنا شأن الدنيا فوجدنا اكبر نعيمها واكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطليبه[2] » .

وكثرت التعاريف للحب طبقاً لاذواق الادباء والظرفاء من الرواة العرب . فالعشق فنٌّ من فنون الجنون ، وهو تحريك الساكن وتسكين المتحرك . وهو عُصارة السحر . فهذه العصارة السحرية هي التي جعلت لشعرائنا العزلين هذه الشهْرة الادبية وحبّبتهم الى قلوبنا . لذلك سنحاول ، في هذه الدراسة الادبية أن نلمّ بهؤلاء الشعراء فننظر في سبب تسميتهم بالعذريين ، وما هو حبهم العذري هذا ،وما علاقته بالحب الافلاطوني . ندرس هذا الحب ونسبر غوره وعمقه وشدة حرارته على ضوء الآثار الادبية التي خلفها لنا هؤلاء الشعراء ...

---

(١) نهاية الارب ج ٢ : ١٤٢ تجد جميع هذه الاقوال ومثلها كثير

(٢) ديوان الصبابة ج ١ : ١٢



تأملات

« حيدر صافات »

تأملات

بريشة جامس صانت

الشبابُ الريّان يفكرُ ويحلمُ !

سراب الصحراء

« واني لارضى من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى اذ الحول ينقضي
أواخره لا نلتقي واوائله »

جميل

الحب العذري

عرّف العرب قبضةً من شعرائهم الاسلاميين بالشعراء العذريين فمن هم هؤلاء الشعراء ؟ ولماذا نسبوا إلى هذا الاسم ؟ وما هو هذا الحبّ العذريّ ؟ وايّ علاقة تربطهُ بالحبّ الأفلاطونيّ ؟

يقودنا الجوابُ حتما الى البحث في بني عـذرة وشهرتهم ، وفي سبب نسبة الحبّ العذريّ إليهم ..

يؤخذُ من بعض أخبار الكتب الأدبية العربية كالأغاني وغيره من كتب الأصول أنّ عذرة كانت قبيلةً لها أعمالٌ مجيدةٌ في أيام العرب ، وأنّ رجالها من أفصح الرجال بشهادة عبد الملك في قوله عن آل عـذرة : « أولئك فصحاء الناس[1] » . وتروى الحكايات والقصص عن اشتهارهم بحبهم وميعانهم في ذلك الحبّ ورقتهم حتى الانميات واليك بعضها :

روى ابراهيم بن سعد الزهريّ قال : « أتاني رجلٌ من بني عذرة لحاجةٍ فجرى ذكرُ العشق والعشّاق فقلتُ له : أنتم ارقّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنا لأرقّ الناس قلوباً ولكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها[2] »

(١) الاغاني ـ ٧ : ٥٤ بولاق (٢) الاغاني ـ ١ : ١٧٩ بولاق

والظّاهر أنّ العاشق العذري كان يستمدّ من ضعفه قوةً ومن « المحاجر البلج والأعين الدّعج » سلاحاً يَشهره في وجه خصومه الذين يعيّرونه حبّه . قال ابو عبيدة : قال رجلٌ من فزارة لرجل من بني عذرة : « تعدّون موتكم في الحبّ مزية ، وانما ذلك من ضعف البنية وعجز الروية ، فقال العذري : اما انكم لو رأيتم المحاجر البلج تُرشق بالأعين الدّعج فوقها الحواجب الزّج وتحتها المباسم الفلج والشفاه السُمر تفترّ عن الثنايا الغرّ كأنها بَرَدُ الدُرّ لجعلتموها اللاّت والعزى ورفضتم الاسلام وراء ظهوركم [1] »

وسأل سعيد بن عقبة الهمداني أعرابياً قال: « ممن الفتى ؟ قال: من قومٍ اذا عشقوا ماتوا . قال : عذري ورب الكعبة !! قال : وممّ ذاك ؟ قال : في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة [2] » . وهذه الصباحة في النساء العذريات وهذه العفة في الرجال كلفتهم غالياً . لقد دفعوا ثمنها دم أكبادهم وعصارة صدورهم .

حدّث أحمد بن الزُبير قال : سمعتُ رجلا من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه فقال عروة : « يا هذا بحق اقول لكم إنكم ارقُ الناس قلوباً ! فقال نعم والله : لقد تركتُ بالحي ثلاثين قد خامرهم السلّ وما بهم داءٌ الا الحبّ [3] »

وهكذا ترى أن الهزال والاصفرار ، والنحول حتى الموت

(١) زهر الادب الحصري ج٣ : ١٤١ مصارع العشاق ص ١٧ وديوان الصبابة ج٢ : ٥٥ وتزيين الاسواق ج١ : ١٠

(٢) مصارع ص ٣٥١، ديوان الصبابة ٢ : ٥٥ ،تزيين الاسواق ١ : ١٠

(٣) مصارع ص ٢٠، ديوان الصبابة ٢ : ٥٥

هي من علامات الهوى العذريّ بل هي من ادق خصائصه . ألم تسمع الى جواب ابن عقبة للاعرابي :

« عذريٌ ورب الكعبة » لأنه قال : نحن من قومٍ اذا عشقوا ماتوا !

واسترسلوا في تعريف العشاق العذريين فادّعوا أن العاشق منهم لا يمكنه أن يكون سميناً ، محباً للاكل . أنشد احدُ الأعراب [1] :

وقد رابني منْ زهدمٍ أن زهدماً   يشدُ على خبزي ويبكي على جُملي
فلو كنت عذريّ العلاقة لم تكن   سميناً وانساك الهوى كثرة الأكل

وأشتهر العشاق العذريون بموتهم في سبيل حبيباتهم حتى ذاع صيتهم بين القبائل وضربت بحبهم الامثال :

. . . . . .   انت لو كنت عاشقاً متّ عشقاً [2]

مثلما مات من بني عذرة كل صحيح الهوى فغودر ملقى
قتل الحبّ قيس لبنى ومجنون بني عامر وامرض خلقا
وتحدّى كثيراً وجميلاً   ولقي منه عروةٌ كل ملقى

ورددت الكتب الادبية هذه الروايات عن بني عذرة وعن حبهم الغريب حتى قالوا فيهم الأقاويل : « فهم قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لانهم اشدّ خلق الله عشقاً [3] »

---

(١) الكامل للمبرد ، وتروى هذه الابيات على انها لجميل : راجع مصارع العشاق ص ٢٥٨   (٢) مصارع ص : ٢٦٨

(٣) ديوان الصبابة ج٢ : ٥٥ .

« وهم اشد الناس غراماً واعظمهم هيامـاً ... والعشق فيهم كثير والمقتول منهم جم غفير [1] » .وقالوا : « إنـــه ليس حي أصدق في الحبّ من بني عذرة ولا تضرب الامثال الا بهم [2] » . وقيل فيهم : « انهم اشتهروا برقة قلوبهم وصدق المِقةِ مع العفاف وتجنب المآثم [3] » .

وحبهم ذو لون خاص يميزه من حب بقية الناس« فهم يستلذون مرارة العشق مثل الضرب ، جبلت المحبـــة من طينتهم ، وجنيت المودة من لينتهم، وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك... فمنهم من يموت من أوام غرامه ، ومنهم من يموت بهيام سقامه [4] » .

وهم لا يؤمنون بغير هذا النوع العذريّ من الحب « فالحب اذا نكح فسد »على رأي احد فتيانهم.

حدّث ابو عمرو بن العلاء قال : حدثني رجـــل من تميم قال : « خرجت في طلب ضالة لي ، فبينا أنا أدورُ في أرض بني عـــذرة أنشدها اذا ببيت منعزل عن البيوت وفي ِ كسره شابٌ مغمى عليه ، وعند رأسه عجوز بها بقيّةُ جمالساهية ، تنظر اليه .فسلمت عليها فردّت السلام فسألتها عن ضالتي فلم تعلم بها .

فقلتُ من هذا الفتى ؟ فقالت ابني . فهل لك في أجر لا مؤونة فيه ؟ فقلت والله اني أحب الأجر وان رُزئت . فقالت : ان ابني هذا يهوى ابنة عم له ُعلقها وهما صغيران فلما كبرتْ خطبها غيره .

---

(١) ديوان الصبابة ج٢ : ٥٤٠ (٢) تزيين الاسواق ج١ : ١٠ .

(٣) مصارع العشاق ص ١٣٦ .

(٤) شرح المقامات الحريرية للشريشي ص : ٢٨١ .

فأخذه شبيهُ الجنون . فخطبها الى أبيها فمنعه وزوّجها غيره . فنحل جسمه واصفرّ لونُه وذهب عقله . فلما كان مــــذ خمسٍ زفت الى زوجها . فهو كما ترى مغمى عليـه ، لا يأكل ولا يشرب، فلو نزلت اليه فوعظته ؟ قال فنزلت اليه فلم أدعْ موعظةً الا وعظته بها حتى قلت له : إنهنّ الغواني صاحبات يوسف ، الناقضات العهد ، وقـد قال فيهنّ كثيِّر :

هل وصلُ عزّة الا وصلُ غانيةٍ　　في وصلِ غانيةٍ من وصلها خَلَفُ

قال فرفع رأسه محمرّة عيناه كالمغضب وهو يقول :

لست ككثير. إن كثيراً رجــلٌ مائق وانا وامق. ولكني كأخي تميم حيث يقول :

الا لا يضرّ الحب من كان صابراً　　ولكنّ ما اجتاب الفؤاد يضيرُ

الا قاتل الله الهوى كيف قادني　　كما قيد مغلول اليـــدين أسيرُ

فقلت له إنه قد جاء عن نبينا (ص) أنه قال :

من اصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي . فأنشأ يقول :

الا ما للمليحـــةِ لم تَعُدني　　أبخلٌ بالمليحـــةِ أم صدودُ ؟

مرضتُ فعـــادني اهلي جميعاً　　فمـــالكِ لم تُريَ فيمن يعودُ ؟

فقـــدتك بينهم فبكيت شوقاً　　وفقدُ الألف يا أملي شديــدُ

وما استبطأتُ غـــيرك فاعلميه　　وحولي من ذوي رحمي عـــديدُ

ولو كنتِ المريض لكنتُ أسعى　　إليك وما يهدّدني الوعيـد !

ثم شهَق شهقةً وخفت خفتةً فداخلني امرٌ ما داخلني مثله قطّ والعجوز تبكي . فلما رأت ما حلّ بي قالت : يا فتى لا تُرَع . مات والله ولدي بأجـــله واستراح من تباريحه وغصصه . فهل لك

في استكمال الصنيعة ؟

قلتُ قولي ما احببتِ . قالت تـأتي البيوت فتنعاه اليهم ليعاونوني على رمسه. فاني وحيدة . فركبت فرسي واتيتُ البيوت رافعاً صوتي بنعيه فلم ألبث أن خرجت لي جاريةٌ احملُ ما رأيت من النساء ، ناشرةً شعرها ، حديثة عهـدٍ بعرس ، تقول : بفيك الحجرُ المصمت من تنعى ؟ قلت أنعى فلاناً قالت : او قد مات ؟ قلت إي والله قد مات . قالت فهـل سمعت له قولا ؟ قلت اللهم شعراً . قالت وما هو ؟ فانشدتها ابياتـه . فاستعبرت وانشأت تقول

عدا بي أن أزورك يا مرادي معـاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمتَ من الدّواهي وعابونا ومـا فيهم رشيد
فاما إذ ثويت اليوم لحـداً وكل النـاس دُورهم لحود
فلا طابت لي الدنيا فراقـاً ولا لهم ولا أثرى العديـد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً عليها وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة وماتت . فوالله ما برحت حتى دفنتها جميعاً [1] » .

وقس على هـذه الحكايات والروايات عشرات مثلها وكلها تنطق عما كان لهذه القبيلة من عواطف حيّة سامية هي غير عواطف الناس على ما يظهر . والذي يدعو الى الحيرة والدهشة حصر هذا النوع من الحب في قبيلة عربية واحدة هي قبيلة بني عذرة . وإن الباحث ليتساءل عن اشتهار هذه القبيلة بحبها دون غيرها لاسيما والمحيط واحد والبلاد واحدة والقوم كلهم يعيشون حياة تكاد تكون

(١) شرح المقامات الحريريه للشريشي ص ٢٨١ - ٢٨٢



براءة

براءة

بريستة جروز (١٧٢٥ - ١٨٠٥)

أين منها براءةُ النعجة التي تتكىء عـــلى
الصّدر العامر في استسلامٍ ووداعة !

واحدة وإن اختلفت في ظاهرها بعض الاختلاف كما سنبين في فصل آخر . نتساءل ، في كثير من الدهشة ، كأنّ بني عذرة وعشاقهم كانوا من طينة غير طينة البشر ، وكأنهم ، بما عرف في نسائهم من صباحة وبما اشتهر عن فتيانهم من عفّة ، قد جبلوا من طينة الملائكة ولم تثر في صدورهم العاطفة البشرية التي تثور فيّ وفيك وفي كل بشري آخر ...!

ونحن نميل الى الاعتقاد بغلوّ الرواة العرب في ما زعموه عن بني عذرة وعشّاقهم حتى أخرجوهم من طبقة الناس ووضعوهم في مصاف الآلهة ونسبوا الى حبهم كل غريب عجيب ... وما هو هذا الحبّ العذريّ الذي نسبوه اليهم ؟

ليس هو في الحقيقة سوى حبّ يؤدي بصاحبه الى الهزال والاصفرار والنحول ثم الموت. وهو حب طاهر ، لا يعترف بحقّ الجسد وشهواته وتمتعه بلذات الحبّ . والحبيب العذريّ حبيب رقيق ، صادق في حبه حتى الموت ، تضرب به الامثال ، لا يسمن لأنه لا يأكل ، ينهش داء السل رئتيه نهشاً وما داؤه في الحقيقة غير عشقه . اما دواؤه فهو الحبيب المعبود ، ولكنّ دون الوصول اليه اهوالاً واهوالا!!

هذا ما نستطيع أن نعرفه عن الحب العذري وعن العشاق العذريين .

هذا هو الحب العذري كما رواه الرواة العرب وكما رأيناه من خلال التعاريف الكثيرة المبثوثة في كتب الأدب والتاريخ . فليرجع اليها الباحثون فلن يجدوا فيها اكثر مما قلناه .

اما الشعراء العذريون الذين ذاقوا هـــذا الحبّ واكتووا بنيرانه وغذوا منه ارواحهم وخيالهم فهم من لحم ودم قد وجدوا في التاريخ حقاً ،ولم يشك احدٌ في وجودهم اللهم الا مجنون بني عامر كما سنرى . وقد عرفهم صدرُ الاسلام شخصياتٍ ادبية معروفة لها وزنها واعتبارها. واشهرهم : جميل بثينة ، مجنون ليـــلى، قيس بن ذريح ، وعروة بن حزام.

ومنهم من ينتمي الى قبيلة بني عذرة ومنهم من ينسب حبه الى الحب العذري لاشتهاره بالطهر والعفة وما شاكل هذه الصفات .

هؤلاء هم الشعراء العذريّون وهذا هو الحب العذري. فمـــا هو الحب الافلاطوني ؟ وما علاقته بالحب العذريّ ؟

عالم الآلهة

« ... حتى اذا أصبح فيلسوفاً بحكم محبته وشغفه بفلسفته مرّت به لحظات خاطفة لا تمرّ الا بالحكيم الذي تفتحت آفاق روحه وارتفعت دنيا عقله فاتحد بالمثل التي تكشف عنها الفلسفة ولاح له قبسُ الحق المطلق .. »

الحب الافلاطوني (*)

في ليلة سكرى بعبق الحب وخمرة العبقرية ، من ليالي الأغريق الغوابر ، تلك الليالي الحبالى بكل مبتكر جديد ، اجتمع حكماء اليونان ، موزعو الفكر البشري ، حول مائدة ترقص فوقها بنات الحانات يتناشدون الاناشيدالحلوة في الحب ويتذاكرون فيه باحثين ، مجادلين . فاسفر اجتماعهم عن اعذب نشيد علوي من اناشيد الحب التي عرفتها الانسانية هو : كتاب المائدة لأفلاطون الحكيم.

وفي كتاب المائدة هذا ، أرقّ الاحاديث في الحب وانواعه . فلقد تخيّل أفلاطون حفلة من الحفلات اليونانية القديمة ضمت رهطاً من مختلف طبقات المجتمع اليوناني بينهم الطبيب والمحامي والاديب والشاعر . فاخذ يبدي كلّ منهم رأيـــاً في الحب حسب هواه وحسب ما يعتقد ان من الواجب أن يكون .

فالواحد يرى أن الحبّ كثير الخيرات للمجتمع الانساني . فهو يوقظُ في نفوس العشاق عاطفة الخجل من السقوط في هوة العـار

(*) اعتمدنا في دراسة الحب الافلاطوني كتاب المائدة لافلاطون بالانكليزية « The Synposium » وتلخيص هـذا الكتاب بالعربيـة لمحمد لطفي جمعة .

وعاطفة التفاني في حب العلا التي تؤدي الى القيام بكبار الاعمال وعظائم الامور ...

والآخر يفرّق بين الحب الارضي الذي تعرفه العامة وتهيم به كالبَهم لما فيه من الشهوات الدنيئة ، ذلك الحب الذي يعشق عباده الابدان ولا يأبهون للنفوس ، ويفضلون الجهل على العلم ويستهينون بالشرف والجمال ولا يعملون الا لاطفاء نيران شهوات الجسد، وبين الحب السماوي الشريف الذي يوحي الاخلاص والنقاء ، ويعشق عباده القوة والجمال في العقل والجسم ، ذلك الحب الذي هو اشرف انواع الحب لان غايته الفضيلة وكمال النفس لا حسن الوجه وجمال الجسم ، ولانه يقود الافراد والجماعات للتفاهم فيما بينهم وللعمل معاً بوئام في سبيل تقدمهم وسعادتهم .

ويحاول الطبيب بما له من معرفة في تكوين أعضاء الجسم أن يوفّق بين الحبّين الأرضي والسماوي ويجيز للانسان أن يتمتع بالحب الأرضي دون الانغماس فيه كما يجوز ، بناء على حرفة الطب ، ان نتمتع بملاذّ المائدة دون ان نعرّض انفسنا للعلل ..

أما الأديب فالحب في نظره هو الحنين الى الالتصاق بنصفنا المبتور عنا منذ الأزل لكي نكمل كليتنا . ألم نرَ كيف ان الآلهة غضبت على الاجناس البشرية لتطاولها عليها فشقّتهم الى نصفين فصار كل نصف يحن الى نصفه الآخر ويتمنى لو يمتلكه لتتم له غاية الحب التي هي السعادة ؟!

أما الشاعر فيرى أن الحب يخلق جميع الفنون . والحب هو واضع السلام بين البشر ، وهو يهدّىء عواصف البحر ويجرّد

الانسان من البغض ويملأ قلوبنا بالعطف . يعطر الخير والوداعة على الارض وتفر من وجهه سائر الميول الخشنة وتهلك ... لا تمس رجلاه الارض ولا يمشي على جماجم الرجال الجافة الغليظة بل في قلوبهم ونفوسهم !!.

وجميع هذه الاقوال لا تعبر عن رأي افلاطون في الحب ، ولا يمكننا اعتبارها ، رغم أهميتها ، تحديداً نهائياً للحب الافلاطوني الذي يعبر عنه سقراط تعبيراً صحيحاً جامعاً بعد ان يصغي لهذه الاقوال المختلفة فيغربلها وينقدها ويدرس الحب درساً فلسفياً منطقياً مما يحمل بقية زملائه على الاستسلام له والأخذ بآرائه واحكامه فيقول:

الحب له حبيب معين يشتهيه ويشتهي امتلاكه .

وحبيب الحب هو الجمال .

فالحب يشتهي امتلاك الجمال ولذلك فهو ليس جميلا .

والجمال هو الخير . فالحب يحتاج الى الخير كحاجته الى الجمال.

وهو ليس جميلًا وليس خيراً بل هو بين الاثنين ... انه شيطان والشيطان وسط بين الرباني والانساني .

هو يفسر الاشياء الربانية والاشياء الانسانية بعضها لبعض .

وهو وسط بين الفقر والغنى ، بين الجهل والمعرفة لانه ثمرة احشاء « الحاجة » Poverty التي أغرت « الوفور » Plenty ابن متيس على مضاجعتها فاولدها الحب [1] .

فسقراط ينقض اقوال زملائه في تشديده على تعيين حبيب

---

(1) The Dialogues of Plato by jowett pp : 495-496

الحب وهو دائماً الجمال، وعلى اشتهاء هذا الحبيب الحبَ وامتلاكه، ثم على ان الانسان لا يفتش عن نصفه الا اذا كان ذاك النصف صالحاً جميلاً ،لأن الانسان في حبه انما يحب الخير فقط، فالحب هو:

الرغبة الصادقة في امتلاك السعادة وامتلاك ما كانت صفته الخير.

والحب هو رغبة التوليد الروحي والجسدي بفعل حضرة الجمال، لان القباحة والتشويه لا يلهمان النفس ولا يوحيان اليها .

والحب هو عشق الخلود في النفس والجسد . فهناك من يعتقدون أن خلودهم يكون في إنتاج الاولاد لذلك فهم يُجذبون نحو النساء . ومنهم من تحمل نفوسهم اكثر من اجسامهم فهم يبتدعون ويبتكرون كل ما هو ملاءم للنفس فيخلدون بما يخلفونه من آثار فكرية سامية كالحكمة والفضيلة والعدل وما شاكل من هذه الصفات التي رفع لها بنو البشر هياكل من العظمة والمجد لم يرفعوا مثلها لأي مخلوق بشري آخر !

ويلخص سقراط كلامه في الحب فيعدد درجاته المختلفة فيقول :

على من يسير في طريق الحب الطبيعية أن يسعى للاتصال بالاشكال المادّية الجميلة منذ صباه فيحصر حبه في شكل واحد يوحي اليه المفاخر العقلية .

ثم انه يلاحظ في الخطوة الثانية ان الجمال في شكل واحد هو شقيق الجمال في أي شكل آخر . لذلك يتحوّل حبه العنيف من الشكل الواحد الى الاشكال العديدة . ومن الشخص الواحد الى الاشخاص الكثيرين لأنه يلمح في جميع هؤلاء الاشخاص انعكاساً للجمال نفسه .



اكليل الحب

« وليم كولتون »

إكليل الحب

بريشة كولتون

إنني تعب، أنشد راحتي وطمأنينتي
فالذين وهبتهم محبّتي وإخلاصي بشرّهم..
فوداعاً أيها «المثال» الذي تستهدفه روحي
إنّ الجسد لأضعف من أن يصل إلى هدف الرّوح!

ومن ثم ينتقل حبه من الأشكال المادية الحسية الجميلة الى النفوس الجميلة . فجمال النفس المشرقة أرقى من جمال الابدان وأبهى . وجمال الروح المستنيرة أوقع في النفوس وأروع من الجمال الحسيّ . ثم يقود هذا الحب النفسانيّ المحبَّ الى حب المؤسسات والشرائع فيصبح حب المؤسسة في نظره أرقى من حب رئيسها بروحه وشريف عواطفه ، كذلك يصبح حب العائلة ارقى من حب الزوج لزوجته اللذين يؤلفان هذه العائلة . كذلك قل في جمال كل مؤسسة أو شريعة اخرى ...

وتنصهر نفس المحب في بوتقة الجمال ويسير في طريقه الصحيح الممهد فيرتقي من حالة الى حالة حتى تنفتح عيناه على جمال العلوم الطبيعية فيقبل عليها ويتعلق بها تعلقاً ينسيه انواع الجمال التي مرّ بها . هذا هو عشق العالم لعلمه ، وهو أرقى من عشقه للمؤسسة التي ارضعته هذا العلم . يتذوّق طعم العلوم ومرارتها الحلوة بعد ان يمرّ في اتونها فتنجلي له عندئذ حقائق الفلسفة وجمالاتها فيتعشقها تعشقاً كلياً ويخلص من ربقة عبادة الجمال والحب في شكل خاص او شخص واحد ، ومن عبادة الجمال في مؤسسة واحدة او شريعة من الشرائع ، حتى اذا أصبح فيلسوفاً بحكم محبته وشغفه بفلسفته مرّت به لحظات خاطفة لا تمرّ الا بالحكيم الدي تفتحت آفاق روحه وارتقت دنيا عقله فاتحد بالمثل التي تكشف عنها الفلسفة ، ولاح له قبس الحق المطلق فعشقه عشقاً ابدياً خالداً حيت وجد بينه وبينه تماساً لا تفصم عراه ...

هذا الحق هو الجمال المطلق العجيب في طبيعته الخالدة ، الدي

لا يمكن إنتاجه ولا يمكن إهلاكه ، لا يزيد ولا ينقص ولا يشبه بقية الاشياء من حيث انها جميلة من جهة ، ومشوهة من جهة أخرى.

لا يمكن تصوره للذهن كتصور أعضاء الجسم الحسيّة ،اوتصوره كعلم من العلوم . ليس له وجودٌ معيّن في الارض او في السماء او في مكان آخر . ولكنه ذو شكل دائم واحد ، ثابت ، ملائم لذاتــــه .

هو ممتزج بالحقيقة ذاتها ،فهو يخرج الفضيلة ذاتها ويتغذى بها ويصبح عزيزاً لدى الأرباب .

هو نعمة إن صحت لكائن بشري ، كان ولا شك خالداً خلوداً ابدياً .

فسلّم الحب في نظر افلاطون تتألف من سبع درجات تختصر فيما يلي :

١ – حب الجمال في شكل واحد معين .

٢ - حب الجمال في كل الاشكال الجميلة .

٣ – حب الجمال الروحاني وتفضيله على الجمال الجسماني .

٤ –حب الجمال في المؤسسات والشرائع .

٥ - حب الجمال في العلوم الطبيعية .

٦ - حب الجمال في المثل التي تكشف عنها الفلسفة .

٧ – حب الجمال المطلق – مجابهة وجه الحق الجميل !

وهذه الدرجات المختلفة متممة الواحدة منها الاخرى يجب ان يمر بها الانسان ليعرف معنى الحب الافلاطوني الصحيح ، وليتذوق طعم الجمال المطلق .

ونحن لا ندّعي الاحاطة بكل ما جاء في كتاب المائدة ، كما ان

ذلك ليس غرضنا في هذه الرسالة لئلا نخرج عن موضوعنا الرئيسي . ولكننا ، ونحن نثبت أقوال افلاطون في الحب ، لا بدّ من الاشارة الى ان هناك كثيرين من ادباء العالم يطلقون على الحب الافلاطوني تفاسير عديدة قد تخرجه عن حقيقته او قد تكون مشوّهة، ناقصة .. فبعضهم يقول انه الحب المجرد من كل شهوة حسية . وهو اقوى من الحب العادي واعنف ، وهو يسبق عادة ، الحب الجنسي ، بل هو الخطوة الاولى التي تقودنا الى ذلك . ولقد رأينا ان الحب بعرف افلاطون يبدأ بالحسيات وينتهي بالمُثُل ، يولد على الارض ويطير باجنحة خفية الى السماء . فالحب الارضي هو الدرجة الاولى في سلم الحب ، بينما الحب السماوي هو غاية الحب .

ومن المعلوم ان كثيرين من فلاسفة العصور القديمة لم يروا في الحب غير شهوة حسية . ولكن سقراط وافلاطون وارسطو وبلوتارك رأوا فيه عواطف سامية شريفة .

وهناك فريق كبير من ادبائنا يخلط بين العذرية العربية والافلاطونية اليونانية [1] . فالحب العذري العربي معناه عند هؤلاء الادباء الحب الافلاطوني اليوناني . والحقيقة التي لا تدع مجالا للشك هي أنه ليس من علاقة بين الحبّين كما يظهر من سياق بحثنا . واذا اجزت لنفسي المقارنة بين الحبين بعد ان اتضح لي عدم تأثير الواحد منهما في الآخر فلكي لا يبقى مجال للشك في علاقة هذين النوعين من الحب ، ولكي يكون بين يدي القارىء تعريف لكل منهما على وجهه الصحيح الكامل ..

(١) حبيب الزيات – المرأة في الجاهلية ص ٢٩

والغريب أن هؤلاء الادباء يذهبون إلى أن الحب العذري هو الحب المسيحي وهو الحب الصوفي. وهنا مجال كبير للشك والمناقشة .
والذي يهمنا في دراستنا هذه أن الحب العذري يختلف عن الحب الافلاطوني في امور كثيرة أعدّد بعضها فيما يلي :

١ – يتضح للدّارس أن الحب الافلاطوني كما جاء في كتاب المائدة ، يقومُ في مدنية ناضجة ، لها علومها ولها فنونها بينما الحب العذري يقوم في بداوة . فالحب الافلاطوني هو نتيجة درس عميق مبني على أسس فلسفية حاول افلاطون درسها وتحليلها . لقد تناول موضوع الحب من وجوهه المختلفة وحلله تحليلاً علمياً وقسّمه الى اقسام مختلفة ودرس عوارضه واسبابه ونتائجه وعدّد فضائله ورذائله . بحث في اصل خلقه وفي أقوال الاساطير اليونانية فيه ، مما لا نرى شيئاً نظيره في الحب العذري .

٢ – الحب الافلاطوني علمي عقلي يعبر عن نفسه بتعابير علمية عقلية . والحب العذري عاطفي خيالي، يعبرُ عن نفسه بتراكيب شعرية خيالية.. يلعب في الحب الافلاطوني العقل والتفكير الرصين دوراً هاماً وتسيطر إرادة المحب الافلاطوني على حبه فتسيّره في طريق ممهد مرسوم .اما المحبّ العذري فهو مسيّر بعاطفته المحمومة الصادقة ،لايدري إلى أين تؤدي به ولا كيف تنتهي آلا مه واحزانه .

٣ – الحب الافلاطوني وسيلة للخلق والابداع والانتاج ، أي ليس غاية بذاته بينما الحب العذري هو غاية بذاته لانه ثورة نفسيّة مكبوتة ، إن حاولت الانعتاق من عقالها صدتها التقاليد الاجتماعية الكثيرة والعادات القبلية العربية وخنقتها في صدر صاحبها خنقاً

يؤدي به الى الاصفرار والهزال والموت .

٤ - في الحب الافلاطوني يلزمك معلم يرشدك ويأخذ بيدك ، فيدلك على الخير والجمال ، ولا ينفتح عقلك للجمال المطلق إلا بعد أن تكتوي بنار العلم والفن والحكمة. وليس شيء من مثل هذا في الحب العذري .

٥ - للحب الافلاطوني موضوع نهائي هو الله او الجمال المطلق المجرّد عن المخلوقات . وموضوع الحب العذري ليلى وبثينة وعفراء ولبنى وكفى !

٦ - في الحب الافلاطوني تلمس شيئاً من جـذب الحبيب الى الجمال المطلق . بينما التقاليد الاجتماعية الموروثة عند العرب وقفت حاجزاً منيعاً في تقرب الحبيب من حبيبه .

٧ - واخيراً أري ان الحب الافلاطوني ، مع انه حب مثالي، أقرب الى حقيقة الانسان من الحب العذري الذي لا يصحّ وجوده الا عند جماعة شاذة من البشر ، لها طباعها الخاصة ومزاجها الخاص وتقاليدها الاجتماعية الموروثة أباً عن جد ، وفهمها الناقص للحياة الانسانية ومتطلباتها ...

فالاول هو حب صحيّ . والثاني هو حب مَرَضي ...

أقول هذا وانا لا أقصد الحطّ من قيمة احد الحبين او تفضيل الواحـــد منهما على الآخر وذلك لما بين الحبّين من الاختلاف في طبيعتهما وفي هدف كل منهما كما ذكرت سابقاً ..

إن هذه الظاهرة الحبية التي امتازت بها قبيلة بني عذرة في صدر الاسلام ليست صدى للحب الافلاطوني او مقدمة للحب الصوفي ،

كما حاول ويحاول البعض أن يظنوا خطأ ...

واذا كان هناك بعض العناصر الحبية الافلاطونيـة في الحب العربي فهي في رسالة العشق لابن سينا وفي الحب الصوفي الذي ، وإن كانت قد ظهرت بذوره في الحياة الاولى للاسلام ، فانـــه لم يظهر ظهوراً صحيحاً فعّالاً الا في اواخر القرن الثاني للهجرة واوائل القرن الثالث.

ولقد اتفق جميع الباحثـــين في التصوّف العربي على تأثره بالعناصر الاجنبية كالنصرانية والفارسية والهندية والصينية وخاصة الافلاطونية الجديدة . ونيكلسون، ولكلام نيكلسون في التصوّف وزنه وقيمته ، يرجحُ تأثير الافلاطونية في التصّوف على غيرهـا من العناصر .

والتصّوف مذهب من المذاهب الروحية « أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة [1] » على حدّ قول الجُنيد .

والصوفي يجعل همّه معرفة الله . واعتبر ذلك في قول رابعـــة العدوّية المتصوّفة المشهورة :

« إلهي ! اذا كنتُ أعبدُك رهبةً من النار فأحرقني بنار جهنم ، وإن كنت اعبدك رغبة في الجنة فاحرمنيها . واما اذا كنت أعبدك ، يا الهي ، من اجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي [2] »

وقيل إن أبا يزيـــد البسطامي أحد المتصوفين المشهورين قـــال :

---

(١) الفرق الاسلامية لمحمود الشبيشي ص ٧

(٢) الفرق الاسلامية لمحمود الشبيشي ص ٧٣

« ذهبتُ من الله الى الله حتى نوديت من داخلي[1] »

والحلاّج أعدم لاتهامه بالهرطقة ولم يرجع عن اندفاعه الشديد في حب الله حتى قيل انه صرّح قبل اعدامه بقوله : « أنا الحق » ، وهو القائل : « ذات الله هي الحب » . كذلك يقول جلال الدين الرومي : « الحب ! الحب للخلاص من الشر . ويعتقد أن لا دين خيرٌ من دين الحب والشوق إلى الله :

ادين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني ..

فاهتمام الصوفي بتعيين هدف حبه وهو الله ، يجيزُ لنا مقارنة هذا الحب بالحب الافلاطوني .

وتبرز عناصر الافلاطونية في الحب الصوفي بروزاً واضحاً في ما يسميه المتصوفة « طريق الوصول الى الله » . فهذه الطريق، وإن اختلف المتصوفون في تعيينها ، تشبه كثيراً سلم الحب عند افلاطون اذ كلاهما يقودُ إلى هدف سماوي هو : الله او الحق المطلق . يقول المتصوفون : « إن للسفر الى الله او الحج اليه مقامات هي :

التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا . وكل مقام محتاج الى مجهود لقتل اهواء النفس واخماد شرّها فتنصرف عن الملذات وتتخلص شوائبها وتتجرّد من كل شيء سوى الله فتشرق في القلب نور هو نور اليقين ويفنى المحب الصوفي في الصفات الربانية والانوار الالهية فيطالع الله في مرآة نفسه[2] » فأنت تحسّ أن هذا

---

(١) التصوف الاسلامي العربي لعبد اللطيف الطيباوي ص ٤١

(٢) الفرق الاسلامية ص ٧٥ - ٧٧ .

الجوّ ليس بعيداً عن افلاطون وأن هذه « المقامات » خاصة بعد أن يجعلها السّراج الطوسي في كتابه « اللمع » سبعة ، تشبه درجات الحب السبع عند أفلاطون .

كذلك نرى أن العلم والارشاد والطاعة العمياء للشيخ هي ضرورية واجبة للصوفي ليتمكن من الوصول الى الله ومجابهة الحق كما رأينا أن العلم والتدريب ضروريان للمحب الافلاطوني في حبه.

يتضح مما تقدم أن علاقة الحب الصوفي بالحب الافلاطوني قد تكون وثيقة بل هي وثيقة وإن اختلف الحبان اختلافاً اساسياً ..

اما الحب العذري العربي فلا يضيره أن يكون غير الحب الافلاطوني وان لا يمت اليه إلا بصلات جدّ واهية ...

المجانين العباقرة

« مجانين لأنهم وقعوا صرعى الحب ومرضوا
فيه مرضاً ممضاً لم يطلبوا الشفاء منه ..
مجانين لأن مرضهم كان سبباً في تفجر عبقريتهم
وهل كانت العبقرية غير وليدة الجنون ! . »

الشعراء العذريون

الشعراء العذريون المعروفون في الادب العربي هم :

جميل بن معمر المعروف بجميل بثينة .

قيس بن ذريح صاحب لبنى .

قيس بن الملوّح المشهور باسم مجنون ليلى .

عروة بن حزام صاحب عفراء .

هؤلاء الشعراء ظهروا في صدر الاسلام وحملوا لواء الغزل العفيف وضربوا بسهم كبير فيه حتى تغنّى بشعرهم المغنون ووضع الرّواة والقصّاص حولهم الروايات الكثيرة المختلفة والاقاصيص الخرافية الغريبة .

ولم يشك أحدٌ من رواة الادب او مؤرخيه في وجود هؤلاء الشعراء اللهمّ الاّ في وجود المجنون الذي كثرت حوله الاقوال والروايات حتى أصبح وكأنه من ابطال الاساطير !

والغريب أنّ الاقدمين شكّوا في وجوده وفي اسمه واسم حبيبته ليلى وفي جنونه . ثم عاد بعضهم يؤكد وجوده ومعرفته وينفي جنونه بما يحمل الباحث على الشك بوجود هذه الشخصية الاسطورية . واعل الاغاني ، وهو أوفى المصادر التي

نعتمدها في استقصاء هؤلاء الشعراء ، يفيدنا شيئاً عن هذا الشاعر المجنون واقوال الروّاة فيه . حدّث ايوب بن عبّاية قال سألت بني عامر بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت احداً يعرفه[1] .. فما قولكم في مجنون لا يعرفه حتى العقلاء من بني قومه !

ويظهر أن بني عامر ما كانوا ليقبلوا باتهامهم بهذا الانغياث في الحب وهذه الميوعة . « فهم اغلظُ اكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه اليانية الضعافِ قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصّعلة رؤوسها ، فاما نزار فلا [2] .. » فهذا الجواب ، جواب احد العامريين وهو يردّ عن بني قومه هذه التهمة الشنعاء ، يؤكد لنا ، إن صحّ ، أن المجنون لم يوجد .

وقالوا : إن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسب [3] . وذكر ابن الاعرابي أن جماعة من بني عامر سُئلوا عن المجنون فلم يعرفوه وذكروا أن هذا الشعر كله مؤلف عليه [4] . وحديث عن عوانة أنه قال : ثلاثة لم يكونوا قطّ ولا عُرفوا : ابنُ أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرّيّة ومجنون بني عامر [5] . وايوب هذا ، له أكثر من تصريح في شخصية المجنون . قيل إنه أنشد هذين البيتين على أنهما للمجنون :

(١) الاغاني بولاق ج١ : ١٦٧
(٢) الاغاني ج١ : ١٦٧ .
(٣) الاغاني ج ١ : ١٦٩ .
(٤) الاغاني ج١ : ١٦٩ .
(٥) نفس المصدر .

وخبرتماني أن تيماء منزلٌ   لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت   فما للنوى ترمي بليلى المراميا ؟

قال: وما المجنون ؟ فأخبر . فقال : ما لهذا حقيقة ولا سمعت به [1] . أما الأصمعي وهو من الرّواة المعروفين فكان يقول : رجلان ما عُرفا في الدنيا قطّ إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرّية وانما وضعهما الرّواة [2] . وقيل ان ابن الكلبي قال. حُدّثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتىً من بني أميّة كان يهوى ابنة عمٍ له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه [3] .

ومما يزيد في شك الباحث اختلاف الرواة في اسم المجنون فتارة هو قيس بن معاذ وتارة هو قيس بن الملوّح . وطوراً هو البحتري بن جعد . وطوراً هو الاقرع بن معاذ ، وحيناً هو مهديّ ابن الملوح .

وكما اختلفوا في اسمه اختلفوا ايضاً في جنونه . فبعد ان قوّلوا الاصمعي انكار المجنون عادوا فرووا عنه انه قال : لم يكن مجنوناً بل كانت به لُوثةٌ (الرجل الالوث هو الاهوج) احدثها العشق فيه [4] . ويضيف في مكان آخر : لم يكن المجنون مجنوناً وانما جننه العشق [5] ثم زعموا ان شعره كان سبب جنونه .

---

(١) الاغاني ج١ : ١٧٠ .
(٢) الاغاني ج١ : ١٦٧ .
(٣) الاغاني ج ١ : ١٦٧ .
(٤) الاغاني ج ١ : ١٦٧
(٥) الاغاني ج ١ : ١٨٠ .

فهذه الروايات الكثيرة المختلفة تؤيد الزعم القائل بانّ المجنون ليس بالشاعر الذي وجد ،وانما هو شخصية ابتدعها خيال الرواة.

وقد اخذ بهذه النظرية كثيرون من ادباء العرب المحـــدثين في مقدمتهم الدكتور طـه حسين[1] . واصبح الشك في نظر الدكتور يقيناً ، وخاصة بعد ان رأى أبا الفرج الاصبهاني لا يروي اخبـار المجنون إلا بتحفظ ، لأن شروط كتابه تضطره الى ذلك . قـــال أبو الفرج : وانا اذكر ماوقع لي من أخباره (المجنون) جُمـــلا مستحسنة متبرئاً من العهدة فيها[2] .

والحقيقة ان الناقد النزيه لا يمكنه إلا ان يشك في وجود المجنون بعد ان يطلع على هذه الروايات القلقة المشوّشة ، خاصة والرواة لم يتورعوا عن الدسّ والاستنباط والتمادي في اختراع الحوادث وتلفيق الحكايات الطريفة المشحونة بها كتب الادب العربي .

ولكن الغريب في الامر أن ادباءنا يأخذون باقوال هؤلاء الرواة ساعة يشاءون ويطيب لهم الاخذ ويرفضون اقوالهم ورواياتهم عندما يطيب لهم النقد النزيه وابداء الرأي الصائب ! . فالراوية الكاذب في نظرهم اليـــوم قـد يصبح صادقاً في الغـد ، وما ذلك الاّ لأن العاملين في التاريخ العربيّ لم يهتموا بتصنيف رواة الأدب كما اهتموا برواة الاحاديث . فاختلط الأمر وكثرت الرّوايات وصار يتعذّر على الدراس فهم التاريخ على حقيقتـــه وبالتالي فهم الأدب ، مما حمل ولا يزال يحمل رجال الأدب العربي عـلى الوقوف

(١) حديث الاربعاء ٢: ٤-٥

(٢) الاغاني ج١ : ١٧٠

موقف الشكّ من كل رواية لا يقرّهاالنقدُ الفني الحديث ولا تثبت أمام محك العقل والمنطق . والذي نزعمه أن هذه الروايات التي تملأ كتب الاصول العربية لا تثبت ، في أكثرها ، امام قواعد النقد الحديث والمنطق الصحيح ، مع انها ، في جملتها تؤلف العنصر التاريخي الجوهري الذي نحكمُ به على ادبنا العربي ورواتها هم هم الرواة الصادقون الكاذبون ! فالأصمعي الذي أنكر وجود المجنون، كما رأيت ، عاد فثبّته عندما سُئل عنه إذ قال : لم يكن مجنوناً ولكن كانت به اُوثة كلُوثة أبي حيّة الشاعر[1] ، ويعودُ في مكان آخر فيشك في صحة شعره ونسبته كله اليه ولكنه يعترف بوجوده فيقول: الذي ألقي على المجنون من الشعر وأضيف اليه أكثر مما قاله هو [2] . ويروي نوفل بن مساحق عن أبيه عن جدّه فيقول : أنا رأيتُ مجنون بني عامر وكان جميل الوجه ، أبيض اللون ، قد علاه شحوب . واستنشدته فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

تذكرتُ ليلى والسنين الخواليا وايام لا أعدى على الدهرعاديا [3]

وحدّث الشيباني أن رجلا من اهل اليمن رأى المجنون ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوّح [4] كذلك قال ابن الكلبي وحدّث أن أباه (أي أبا المجنون) مات قبل اختلاطه

---

(١) الكامل للمبرّد ص ١٨ .

(٢) الاغاني ج ١ : ١٦٩ — ١٧٠ .

(٣) الاغاني ج ١ : ١٧٩ .

(٤) الاغاني ج ١ : ١٦٨ .

فعقر على قبره ناقة وقال المجنون في ذلك شعراً [١] .

فأنت ترى أن الروايات متناقضة في وجود المجنون . والذين أقروا وجوده اختلفوا في حقيقة اسمه وفي جنونه وفي سبب هذا الجنون . ثم عادوا يحوكون حول شخصيته الحكايات السخيفة التي يأبى العقل والمنطقُ تصديقها والتي تدلّ بصراحة فائقة على قلة مهارة واضعيها ومصطنعيها .

والذي يهمنا من موضوع المجنون في دراستنا الأدبية هذه ، شخصيته الادبية المعنوية اكثر من حقيقة وجوده الكياني خاصة وانه يتعذّر على الباحث ان يجزم جزماً علمياً باتاً في هل وجد المجنون أم لم يوجد . يهمنا من المجنون فكرة سامية مجنّحة ، لوّنها الرواة بريشة خيالهم المبتكر الساحر فجاءت غنية بألوانها ، رائعة في معناها ، وفرضت نفسها على الادب العربي فرضاً ، ومهرت فريقاً من شعرائنا الاقدمين بخاتمها السحريّ فاخرجتهم عن حظيرة الشعراء الاسلاميين الآخرين ، فلم يسخّروا قلمهم في مدح خليفة او أمير ولم ينظموا الشعر تكلفاً او تكسباً بل راحوا يتغنّون بما يجيش في صدورهم من عواطف هائجة محمومة بشعر اعذب من الخيال وأنقى من الفجر .. كانوا يبثون الطير شكواهم والطبيعة آلامهم في الوقت الذي تفشت فيه مخازي المديح والاستجداء عند الاكثرية المطلقة من شعراء عصرهم .. في الوقت الذي كان الشعراء الامويون في كثرتهم المطلقة ، ينحرون الشعر العربي الصحيح بحرابهم الدامية المسمومة المتقطرة من شفراتها الوان السموم المختلفة

---

(١) الاغاني ح ١ : ١٦٨ .

من مديح وهجاء وحماسة وفخر .. ، في الوقت الذي كان جرير والفرزدق والاخطل يسفحون عصارة عبقريتهم على اعتاب الخلفاء الامويين ، متكسبين ، متملقين ، ينهشون اعراض بعضهم بعضاً مدة أربعين سنة بايامها ولياليها ... في هذا الوقت،وفي ذلك الجو الموبوء كان الشعراء العذريون منكبّين على انفسهم يستوحونها ، يذيبون قلوبهم المشتعلة بنار الحب بخوراً على مذبح الشعر الصافيّ !

إنهم مجانين ! لقد اتهمهم الناس بالجنون ! ولكنه جنون العباقرة ! انهم المجانين العباقرة !

لقد قال بعض الاعراب إنه العشق فن من فنون الجنون وهذا صحيح !.

وبماذا يمكننا ان نشبه اولئك الشعراء الذين عبقت بوادي الحجاز ووهاده بانفاسهم الحرّى واشعارهم الغزلية المطربة ؟ هل نشبههم بغير المجانين ؟!

مجانين ! لانهم خرجوا عن المألوف المعروف في بني قومهم وضربوا بعادات العرب المألوفة عرض الحائط واصاخوا باسماعهم الى نداءات قلوبهم الوالهة وعيونهم الدامعة وعواطفهم الصادقة !

مجانين ! لانهم قضوا لياليهم الطويلة والألم القتّال يعصر قلوبهم والحرقة الممضة تنهش صدورهم !

مجانين ! لانهم وقعوا صرعى الحب ومرضوا فيه مرضاً مزمناً لم يطلبوا الشفاء منه !

مجانين ! لان مرضهم كان سبباً في تفجّر عبقريتهم . وهل كانت العبقرية إلا وليدة الجنون !

وهؤلاء الشعراء المجانين العباقرة كانوا سحرة حقاً . يثبت ذلك ما كان لهم من تأثير شديد في نفوس الناس . كانت الجواري تتغنى بشعر ابن ذريح وجميل والمجنون فيخرّق السامعون ثيابهم ويسقطون مغشياً عليهم ويرمون بانفسهم من أعالي المستشرفات ويسقطون مهشمين [1] .

وليس لي أن اقنعك بصحة هذه الروايات فسواء أصدقتها ام كذبتها ، فهي ستبقى صحيحة في قسمها الاكبر تمثل لنا نفسية القوم الحية ، وترسم امامنا صورة عن حبّ ابناء البادية ، ذلك الحب العفيف العنيف !

سبق القول ان الرواة أخرجوا هؤلاء الشعراء العشاق من حظيرة البشر وأحاطوهم بهالات القداسة والاحترام ورفعوهم الى ما فوق الناس . فاخبارهم عجيبة غريبة ، لطيفة مستحبة ، خارقة صعبة التصديق .

فالمجنون كان يشهق شهقات شديدة عندما يسمع صوت ليلى تنشده الشعر فيغمى عليه . وكان لا يلبس الا ثوباً خلقاً ولا يمشي الاّ عارياً وكان يلعب بالتراب ويجمع العظام حوله ... فكانوا يحبسونه ويقيدونه فيعض لسانه وشفته فيخافون عليه ويخلون سبيله فيهيم شارداً تائهاً في البراري والصحاري مع الوحش ، لا يأكل الا ما ينبت في الحقول من بقل ولا يشرب الا مع الظباء اذا وردت مناهلها حتى طال شعر رأسه وجسده والفته الظباء والوحوش واصبحت لا تنفر منه [2] .

---

(١) مصارع العشاق ص ٢٩٢ - ٢٩٣ (٢) الاغاني ٢ : ٤ - ٥

وكثيراً ما كان يمرّ به أصحابه وخلانـــه يكلمونه ويحدّثونه ساعات طوالاً وهو جالس يخط في الأرض ويعبث بالحصى فـــلا يجيب ولا يتكلم [1] .

وابنُ ذريح كان يعتبرُ نفسه ميتاً من الأموات بعد طلاقه حبيبته لبنى وكان يقول : هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحـد . وها أناذا ميت مما فعلته فمن يردّ روحي إليّ ،وهل سبيل إلى لبنى بعـد الطلاق ؟ وكان كلما قرّع نفسه وأنبهـا بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء والصق خـدّه بالارض ووضعه على آثارها ثم انشد الشعر [2] .

وعندما وصله خبر زواجها رجـــلا من غطفان جزع لذلك وبكى بكاء شديداً وجاء الى موضع خبائها يمرّغ خده عـلى ترابها وينشدُ الشعر [3] .

اما جميـــل فكان اذا طال مكوثه في الشام بعيداً عن بثينة راسلته مع بعض نساء الحيّ ، تذكر شوقها اليه ووجدها به وطلبها للحيلة في لقائه حتى اذا اجتمعا في موضع يتشاكيان مـا في قلبيهما من لهيب تبعهما ابوها واخوها فيثب جميل وتثور نخوة الشباب في رأسه وينتضي سيفه ويشدّ عليهما فيهربان من وجهه ، ولا يكف عنهما إلا نزولاً على امر الحبيبة المعبودة [4] . وتتزوج بثينة من رجل غير جميل فلا ينقطع جميل عن حبها والتعرض لهـا بشعره حتى ضجّ قومها منه وشكوه الى ابيه فقال له :

(١) الاغاني ٢ : ٧ (٢) الاغاني ٨ : ١١٧

(٣) الاغاني ٨ : ١٢١ – ١٢٢ (٤) الأغاني ٧ : ١٠٥

« يا بنيّ حتى متى انت عمِهٌ في ضلالك لا تأنف من ان تتعلق بذات بعل . . . . وانت عنهـا بمعزل ، تقـوم . . . اليك فتغرّك بخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلها ماتضمره الحرّة لمن ملكها فيكون قولها لكتعليلاً وغروراً ، فاذا انصرفت عنها عادت الى بعلها، على حالتها المبذولة . إن هذا لذلّ وضيم . ما اعرف أخيب سهماً ولا أضيع عمراً منك ، فانشدك الله إلا كففت وتأملتَ أمرك ؟ » فيجيبه جميل :

« والله لو قدرت ان امحو ذكرها من قلبي ، أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت ، ولكن لا سبيل الى ذلك . وإنما هو بلاء بليت به لحين قد اتيح لي ، وانا امتنع من طروق هذا الحي والالمام بهم ولو متّ كمداً . وهذا جهدي ومبلغ ما اقدر عليه [1] . »

وكان عندما يقول ذلك يبكي ويبكي أبوه معه ومن حضروا مجلسه جزعاً لما يرون منه !

ولم تقلّ قصة الشاعر عروة بن حِزام حبيب عفراء فجيعةً عن جميع الشعراء المذكورين .

فهو ايضاً احد المتيمين الذين قتلهم الهوى : أحبّ عفراءصغيراً وبادلته الحب فلم يشأ عمه ان يزوجها منه بل زوّجها من رجل أموي غني رحل بها إلى الشام فلحق بهما عروة واخذ يتغزل بها :

يا عُفرُ إن الحيّ قـد نقضوا
عهد الاله وحاولوا الغـدرا

وهو ككل الشعراء العذريين ، حزين دائم الحزن ، مهموم

(١) الاغاني ٧ : ٩٧

كثيرُ الهمّ ، واجم لا يتكلم ، قلبه في خفقان مستمر ، يغمى عليه دائماً ولا يستفيق إلا اذا ألقي على وجهه خمـــارٌ كانت قد أهدته اليه عفراء[1] .

ولقد حاول الاطباء ومهرة السحرة والعرافين عبثاً ان يشفوه من مرضه . فلقيـــه ابن مكحول عرّاف اليمامة وسأل عن سبب اوجاعه أبهِ خبل أم جنون ؟ فأجابه :

فما بيَ من خبلٍ ولا بيَ جنّةٌ
ولكنّ عمي يا أخيّ كذوب
اقول لعرّاف اليمامـــة داوني
فانك ان داويتني لطبيب[2]

ولما عجز الاطباء عن مداواته اخذه البكاء والهلاس حتى قال الناس : « والله إنه لمسحور ، إن به لجُنّة ، إنه لموسوس[3] » .

ففي هذه الحكايات ، وقد حاكت اكثرها مخيـــلة الرواة ، أحزان الحبيب التاعس الشقي في حبه ، وشجون النفس البـدوية الوالهة التي لم تعرف في حبها خداع ابناء الحضارة وتبذلهم في حبهم الناعم المترف!

ويبدو هذا الشقـــاء نشيداً عذباً في افواه هؤلاء الشعراء يتغنون به في اشعارهم مستطيبين الأذى في معاناة حبهم :

يقولون ليلى عذبتك بحبهـــا
ألا حبذا ذاك الحبيبُ المعذِّبُ !

---

(١) الاغاني ٢٠ : ١٥٤ (٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) ديوان عروة بن حزام واخباره - مخطوطة .

وإذ يسمع المجنون بان زملاءه أصابهم شيء من الضعف في حبهم، يصرخ من اعماق نفسه :

تشكّى المحبون الصبابة ليتني
تحملت ما القاه من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذةُ الحب كلها
فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي !

هذه اللذة، لذة العذاب في الحب، لم يعرفها شاعر كما عرفها قيس المجنون . كانت نفسه تشتاق الى البكاء وتستطيبه كاشتياق الرمال المحرقة إلى قطرة الغيث الباردة ، فلا يرى حمامة تنوح على أليفها دون أن يوبخ نفسه لتغافله عن مجاراتها في البكاء :

لقد غرّدت في جنح ليلٍ حمامةٌ
على إلفها تبكي وإني لنائمُ
كذبتُ وبيتِ الله لو كنت عاشقاً
لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ

وكان إذا اشتد شوقه الى ليلى يمرّ على آثار المنازل التي كانت تسكنها فتارةً يقبلها وتارة يلصقُ بطنه بكثبان الرمل ويتقلب في حافاتها وتارة يبكي وينشد :

أمرّ على الديار ديار ليلى
أقبّلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وماحبُ الديار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا [١]

---

(١) خزانة الادب ٢ : ١٦٩ - ١٧٠

والتوباد ! جبل نجد المحبوب ! كم له من ذكريات طيبة في قلب شاعرنا ! كم صرف الليالي مشياً على الاقدام ، قاطعاً الفيافي والوديان للوصول اليه ، حتى اذا رآه تنفّس تنفسّة خرجت معها فلذة من فلذات فؤاده وصاح منشداً :

واجهشتُ للتوباد حين رأيته
وكبّر للرحمن حين رآني
وأذريتُ دمع العين لما عرفته
ونادى باعلى صوته فدعاني

ولكنه ما كان ليراه او يعرفه فلطالما كان يتيه حتى يصل الى بلاد الشام فيسأل عن التّوباد فيضحكُ الناس منه [١].

ونجد ! أغنيةٌ حلوةٌ في قلب الشاعر وبسمةٌ طرية في فمه يكرره في أكثر أبياته الشعرية ترغاً به وتلذذاً بساكنيه :

رعى الله من نجدٍ أناساً أحبهم
فلو نقصوا عهدي حفظتُ لهم ودّي
سقى الله نجداً والمقيم بأرضها
سحاب غوادٍ خاليات من الرعدِ ..
أحنّ الى نجدٍ فياليت أنني
سُقيتُ على سلوانةٍ من هوى نجدِ
ألا حبّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ
وأرواحه ان كان نجدٌ على العهد !!

ونسيم نجد ينعش منه الفؤاد ، فهو حبيب الى قلبه لأن مسراه

(١) الاغاني ١ : ١٨٦

من عند الحبيب :

اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنــــا
وجـــدتُ لمسراها ومبسمها بردا

. . . .

أيا جبـــلي نعمان بالله خليــــا
سبيــل الصّبا يخلص الحيّ نسيمها

أجد بردها أو تشف مني حرارة
على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمهـــا

فانّ الصبا ريحٌ اذا ما تنسّمت
على نفس محزون تجلّت همومها

وبلغ من شدّة حبه وهيامه بليلى ان سدّت عنه ابواب العالم والدنيا فلم يرَ غيرها في العالم حتى قيل فيه :

« كان إذا نظر الى الوحش يقول ليلى ! وان نظر الى الجبال يقول ليلى ! وان نظر الى الناس يقول ليــلى ! حتى اذا قيل له ما اسمك ؟ وما حالك ؟ يقول ليلى[1] .. »

ورافقه خيال ليلى في حله وترحاله حتى إذا قام يُصلّي يمم وجهه نحوها ، او رآها تسير لحقها حيث تذهب وإن خالف بذلك قواعد الدين والايمان :

أعدّ الليالي ليـــلة بعد ليلة
وقد عشت دهراً لا أعدّ اللياليا

---

(١) اللمع للسراج الطوسي ص ٣٨٦

أراني اذا صلّيت يممت نحوها
بوجهي وان كان المصلى ورائيا
وما بيَ إشراك ولكن حبها
كعود الشجا أعيا الطبيب المداويا
أحب من الاسماء ما وافق اسمها
واشبهـــه أو كان منه مدانيا

وتحمّل في سبيل حبه الاهانات والعذاب اشكالاً والواناً حتى تمنى الموت تضحية لذلك الحب :

رضيت بقتـــلي في هواهـــا لانني
أرى حبهـــا حتماً وطاعتهـــا فرضا
اذا ذكرت ليـــلى أهيمُ بذكرها
وكانت مُنى نفسي وكنتُ لها ارضى
وإن رمتُ صبراً او سلوّاً بغيرها
رأيتُ لكلّ الناس من بعدها بغضا

وتوصل ، في سبيل الوصول إليها والوقوف ببابها ، إلى أن وضع في عنقه سلسلةً ، وقادته عجوز كأنه سائل حقير وهو ينشد :

معذبتي لولاك ما كنت سائـلا
أدورُ عـلى الأبواب في الناس عاريا

والغريب في الأمر أن هـــذه المعذبة ما كانت لتريد لحبيبها العذاب . فحبها له لايقلّ عن حبه ، وكلفها به أشدّ من كلفه بها . ولكن ماذا تعمل بتقاليد القوم الاجتماعية ؟ وكيف يسمح قيس لنفسه أن يشهر بابنة عمه هذا التشهير المعيب؟ بل كيف يتغنى بها في

بوادي الحجاز فتطبق اخبارهما بلاد الشام ويصبحان مضغة في افواه العرب وسخرية فتيانهم وفتياتهم !

وكم ناديتُ بين خيـــام ليلى   وكم في حبها مثـــلي ينادي
أنا المضنى فجودي لي بوصـلٍ   فقد زاد السّقامُ الى السّهادِ
فما أحلى التهتك في هواهـــا   حماها الله من كيد الأعادي ...

وأخيراً يبلغ به اليأس مبلغاً لا يطاق وتضيق به الدنيـــا فلا يعرف ماذا يفعل وإلى من يلتجىء .ويحاول ان يعرف ما ذنبه ولمَ اصبح على هذه الحالة المحزنة ، فلا يصل الى جواب حاسم ُمرضٍ ، فيستولي عليه القلق ويغمره ضباب اليأس والحيرة فلا يجـد منفذاً ليأسه وشجونه سوى الشعر :

فـــوالله ثم الله إني لدائب
أفكـّر ما ذنبي اليهـــا واعجب ؟
ووالله ما ادري عـــلام قتلتني
وأيّ اموري فيك يا ليلَ اركب ؟
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه
أم اشرب رنقاً منكمُ ليس يشرب
أم اهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً
أم اصنع ماذا ؟ أم أبوح فاغلب ؟
فأيهما يا ليـــلَ مـــا ترتضينه
فاني لمظــــلوم واني لمعتب ..

فهـذه السلسلة الطويلة من الاسئلة يتبع واحدها الآخر تنبىء عن نفس الشاعر الحائرة المتعطشة الى الوصول لحلّ يهدىء ثورتها

ويقنع به الحبيب المعبود ... لكن قيساً كزملائه الشعراء العشاق لن يتوصل الى ذلك الحل النهائي في حبه . وستبقى لذته الكبرى ونشيده العذب في ذلك القلق المستولي عليه المستحوذ على شعوره يسيره في طريق العبودية التي ارادها لنفسه مختاراً ..

واذا كنا قصرنا الكلام على المجنون وحبه دون الشعراء الآخرين فلأن سياق البحث اضطرنا الى ذلك . والحقيقة ان هؤلاء الشعراء العذريين كانوا جميعاً نسخة واحدة بعضهم عن البعض . فاذا كان المجنون صادقاً في حبه لابنة عمه ، فزملاؤه لم يكونوا أقل منه وفاء في حبهم وان كانت اخبارهم الحبيبة اقرب الى المنطق والعقل من اخبار المجنون !!

فابن ذريح ، وقصته مأساة إنسانية من الطراز الاول، تتجاذبه في حبه عاطفتان عنيفتان لايستطيع تفضيل الواحدة على الاخرى: عاطفة حب الام الحنون وعاطفة الزوجة الصادقة :

« يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكني .. »

« ما كنتُ لأطيع احداً فيك ابداً .. »

ويحلف الأب الا يكنّه سقف بيت أبداً حتى يطلّق ابنه لبنى . فيخرج ويقف في حرّ الشمس فيجيء قيس فيقف بجانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحرّ الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه ...

ويدوم تمثيل الدّور سنوات حتى يقنع قيس أخيراً بطلاق امرأته فتسفر الرواية عن فاجعة تتفجر لها عبقرية الشاعر المسكين فيستطير عقله ويلحقه مثل الجنون ويأخذ يبكي لفراق إلفه وحبيبه

وينشج أحرّ نشيج ...

وانّي لمفنٍ دمع عينيّ بالبكا
حذار الذي قد كان او هو كائن

وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيني
بكفّيك الاّ أن ما حان حائن [1]

. . . .

فان يحجبوها او يحل دون وصلها
مقالة واشٍ او وعيد أميرِ

فلم يمنعوا عينيّ من دائم البكا
ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري

وكانت لبنى مديدة القامة ، شهلاء ، حلوة المنظر والكلام [2] . وفية شديدة الوفاء في حبها لقيس . فكان من الطبيعي أن يخلص لها زوجها في حبه إخلاصاً كلفه حياته ... أخذ يلمّ بها سراً من قومه بعد طلاقها وزواجها من رجل آخر غيره حتى شكاه أبوها إلى معاوية فاهدر دمه [3] ، ولكنه لم ينقطع عن زيارتها والتغزّل بها :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهدِ

---

(١) الاغاني ٨ : ١١٣ – ١١٤

(٢) الاغاني ٨ : ١١٢

(٣) الشعر والشعراء ص ١٤٧

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً
وليس إذا متنا بمنفصم العهدِ
ولكنه باقٍ على كل حادث
وزائرنا في ظلمة القبر واللحدِ

وترقّ أبياته في هذه القصيدة إلى درجة يخيّل معها للقارىء ان الشاعر ليس من صدر الاسلام وليس هو ربيب البوادي والقفار وأن حبيبته التي يتغزل بها ليست تلك البدوية الحسناء التي عرفت حرّ الصحراء وقرّها وذاقت حلوها ومرّها ... بل هي تلك التي :

يكادُ حباب الماء يخدِشُ جلدها
اذا اغتسلت بالماء من رقّة الجلدِ
ولو لبست ثوباً من الورد خالصاً
لخدّش منها جلدها ورقُ الورد
يثقّلها لبس الحرير للينها
وتشكو إلى جاراتها ثِقلَ العقدِ
وأرحمُ خدّيها إذا ما لحظتها
حذاراً للحظي أن يؤثر في الخدِّ [1]

هي نفس الشاعر الحساس الذي لا يحسّ الا بالحبيب !
هي عين الشاعر البصير الذي لا يرى الا جمال الحبيب !
هو خيالُ الشاعر المبدع الذي يخلعُ على الانسان ثوب الألوهية فيخلق من لبنى المرأة جنيّة من جنيات الاساطير .
تخدّش جلدها المخملي قطرات الماء العذب !

(١) عيون الاخبار ٤ : ١٤٥ والاغاني ٨ : ١٢٠ .

وتجرح جسدها البضّ اوراق الورد الناعم !
ويثقل عليها عقدها اللؤلؤي الوضاء !
ويؤثر في خدّيها الموردين نظرات عشاقها الملتهمة !

ولا يقف حزن الشاعر على حبيبته عند حدّ من الحدود فهو إذ يعرف بارتحال قومها بها يتبعها ملياً فيمنعه أبوها من المسير معها فيقف ينظر إلى القوم الظاعنين ويبكي حتى يغيبوا عن عينه فيكرّ راجعاً وينظر إلى أثر خفّ بعيرها فيكبّ عليه ويقبله ويقبلُ موضع مجلسها وأثر قدمها حتى بضجّ منه قومه فيلومه على تقبيله التراب فيقول :

وما أحببت أرضكمُ ولكن
أقبلُ اثر من وطىء الترابا
لقد لاقيتُ من كلفي بلبنى
بلاء ما أسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى
عييت مما أطيق له جوابا ...

ويتذكرها في ليلةٍ من لياليه المحمومة فيتململ في مضجعه تململ الملسوع الكسير الفؤاد فيثب حتى يأتي موضع خبائها فيتمرّغ فيه ويبكي ويقول :

بتُ واهمُ يا لبينى ضجيعي
وجرت مذ نأيتِ عني دموعي
وتنفستُ اذ ذكرتك حتى
زالتِ اليوم عن فؤادي ضلوعي

أتناساك كي يريع فؤادي
ثم يشتد عند ذاك ولوعي
يا لبنى فدتك نفسي وأهلي
هل لدهر مضى لنا من رجوع ؟؟

وكيف يرجع له الدهر الغابر وقد زوّجه أهله من امرأة سواها فارسلت لبنى تسأله عن سبب زواجه من غيرها وهو يدّعي حبها فأجابها :

« أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوّجها وانه لو رآها في نسوة ما عرفها ، وأنه ما مدّ يده اليها ولا كشف لها عن ثوب[1] » .

وسواء صدق قيس في قوله هذا او لم يصدق فالذي يتضح من شعره الغزلي في لبنى كافٍ للتدليل على شدّة هيامه وصدق حبّه للمرأة الاولى التي حكمته في قلبها فجار في حكمه عليها وعلى نفسه وكانا ضحيتين من ضحايا هذا الصراع القائم ، الى يومنا الحاضر ، بين العاطفة الحميمة والمصلحة الغرّارة ! وسيبقى هذا الصّراع العنيف مستمراً في شدّته ما بقيت في هذه الانسانيّة قلوب تخفق وعواطف تتأجج !

وسيقع من ضحاياه الف قيس وقيس والف لبنى ولبنى لأنّ القلوب المكلومة المتألمة ، كالأنهر الهدّارة الصخّابة ، تحطّمُ في طريقها الى محجتها كل ما يعترضها من اوساخ الدنيا وحواجزها ، وإذا لم تستطع الى ذلك سبيلا خرّت

---

(١) الاغاني ٩ : ٢٠٧

صرعى آلامها وضحيّة نضالها !

وقيس كالمجنون ، كجميل ، كعروة ، كلهم وقعـــوا صرعى نضالهم في حبهم وداقوا المرّ انواعاً في ذلك الحب ، واكتووا بناره فجاءت اشعارهم صادقةً في التعبير عن شعورهم الفياض ، صحيحة في بث شكواهم الحزينة ، رقيقة كرقـة حبهم !

كلهم أراد التخلص من هــــده الحياة لأن الحياة كافرة بدون الحبيب !

وكلهم تمنى الموت بعد زورة تزورها الحبيبة :

ليت لبنى تعودني ثم أقضي !

فياليت اني مت قبـل فراقها

وهل ينفعن بعد التفرّق ليتُ !

وكلهم حزين دائمُ الحزن ، ملتاع صادق اللوعـه ، يعزيه الناس فلا يريد أن يتعرّى ، ويرشده آله وذووه الى مـا فيه خيره وصلاحه فلا يقنع ولا يرجع عن غيّه :

وقـال الآمرون تعزّ عنهـــا

فقلت نعم اذا حانت وفـــاتي . .

ولعل تلك الرواية التي تروى عن المجنون من أن آله ، لما يئسوا من إقناع أبي ليلى بتزويج ابنته من قيس ،ذهبوا به الى مكة ليتعلق باستار الكعبة علّ الله يمنّ عليه بالشفاء . فلما صار بمنى سمع صائحاً يصيح : يا ليلى ! فصرخ صرخـة ظنوا ان نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه ... ولما وصلوا



الحب الجريح

« رودان »

الحب الجريح

بريشة كاربو (١٨٢٧ - ١٨٧٥)

قارنْ بين طراوة هـــذا الجسم المخملي
وخطوط الصخر البارزة الغليظة التي يجلس
عليها هذا الطفل !
لقـــد جرح الأله ُ الصغير نفسه بسهم
من سهامه !
ألا ترى عينيه الدّامعنين ، ونظراتـــه
المنكسرة المتوسلة ، وجلسته المرتخية كأن
قواه ُ ، كلّ قواه ُ ، قد خارت !!

الى مكة أمره ابوه أن يتعلق باستار الكعبة ويسأل الله ان يعافيه من حب ليلى . فتعلق قيس باستار الكعبة وقال :

« اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفاً ولا تنسني ذكرها ابداً [1] »

أقول لعلّ هذه الحكاية ، وامثالها كثير عن هؤلاء العذريين ، توضح لنا شيئاً من تعلق هؤلاء العشاق بحبهم وتمسكهم بهذا الحب .

والغريب ان هؤلاء العشاق كانوا يزدادون تمسكا بحبهم وتعلقاً بحبيباتهم كلما ازداد الناس في لومهم وتأنيبهم :

يقرّ لعيني قربها ويزيدني
بها عجباً من كان عندي يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته
وتلك لعمري توبة لا اتوبها [1]

وعندما كانوا يعزون جميلاً بقولهم : ابتعد عنها فستسلوها كان يجيب :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة
رويد الهوى حتى تغبّ لياليا
لحى الله اقواماً يقولون اننا
وجدنا طوال النأي للحب شافيا [2]

وجميل كان شاعراً فصيحاً ، مقدماً بين الشعراء حتى ان كثّيراً كان يفضله على نفسه . وشهد له ابن سلام بقوله : كان

(١) الاغاني ١ : ١٧٥ وتزيين الأسواق ١ : ٧٠
(٢) محاضرات الادباء ج٢ : ٣

لكثير في النسيب حظ وافر وجميل مقدّم عليه وعلى اصحاب النسيب في النسيب[1] . وكان كثير يبدأ انشاده دائماً بشعر جميل وقد سأله الشاعر نصيب مرّة : أجميل أنسب أم أنت ؟ فقال : وهل وطّأ لنا النسيب إلا جميل[2] ؟

وقالوا ايضاً : كان جميل صادق الصبابة والعشق ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقوّل [3] .

والحقيقة ان جميلا ما كان ليسلو حب بثينة او يفتر في ذلك الحب او يستبدل به حب امرأة اخرى رغم التفاف الفتيات العذريات حوله وفي ذلك يقول :

حلفتُ لكيما تعلميني َصادقاً
والصدقُ خيرٌ في الامور وانجحْ
لرؤيةُ يوم واحد من بثينة
ألذّ من الدنيا لديّ وأملحُ

وقال :

فلربّ عارضة علينا وصلها
بالجدّ تخلطه بقول الهازلِ
فاجبتها في القول بعد تستر
حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في صدري كقدر قلامة
فضلا وصلتك او اتتك رسائلي

---

(١) الاغاني ٧ : ٧٩
(٢) الاغاني ٧ : ٨٠
(٣) الاغاني ٧ : ٧٩

ولباطلٌ ممن أحب حديثــــه
اشهى اليّ من البغيض الباذل
صادت فؤادي يا بثين حبالكم
يوم الحجون واخطأتك حبائلي
منّيتـــني فلويتِ ما منيتــــني
وجعلت عاجل مَا وعدت كآجل
وتثاقلت لما رأت كلفي بهـــا
أحبب اليّ بذاك من متثاقل !
وأطعتِ فيّ عواذلا فهجرتني
وعصيتُ فيك وقد جهدن عواذلي
حاولنني لأبتّ حبل وصالكم
مني ، ولست وإن جهدن بفاعل
فرددتهن وقـــد سعين بهجركم
لمـــا سعين له بأفوق ناصل
يعضضن من غيظ عليّ اناملا
ووددت لو يعضضن صم جنادل
ويقلن انك يا بثين بخيـــلة
نفسي فداؤك من ضنين باخل

فمثل هذا الشعر الغزلي الرقيق مفخرة في جبين الادب العربي القديم ، ومثل هذا الشعر يمكن بل يجب ان يدرسه طلاب الادب ويفاخروا به ادباء الفرنجة الغزلين حتى الشعراء المحدثين منهم . وان مثل هذه القصيدة لكثير عند جميل أود

ان اثبت بعضها هنا لتكون شاهداً ناطقاً بما لهـــذا الشاعر العربي من إرهاف في الحس وصدق عميـق في الحب ، ذلك الحب الذي كاد يقتله لشدّته :

اني لأحفظ غيبـــكم ويسرّني
اذ تُذكرين بصالح ان تُذكري
ويكون يومٌ لا ارى لك مرسلا
او نلتقي فيـه عليّ كأشهر
يا ليتني القى المنيّـــة بغتةً
إن كان يومُ لقائكم لم يُقدرِ
او استطيع تجـــلداً عن ذكركم
فيفيق بعض صبابتي وتفكري
لو قـد تُجن ُ كما أجنّ من الهوى
لعذرت او لظلمت إن لم تعـذر
لا تحسبي أني هجرتك طائعـاً
حدثٌ لعمركِ رائع أن تُهجري
فلتبكيني الباكيات وإن أبُح
يومـــاً بسرّك معلناً لم أعذر
يهواكِ ما عشتُ الفؤاد فان امت
يتبعْ صداي صداك بين الاقبر ...

ألا وإني لا أرى في هذه الأبيات الجميلة ، معنىً مبتكراً لم يطرقه شاعرٌ غير جميل . كذلك هي خالية من أية فكرة فلسفية عميقة في معناها ، غريبة في مغزاها ، تتطلب من القارىء

إعمال الفكر وتقليب النظر لفهمها وحلّ رموزها، وعلى ذلك يقوم جمالها . إن سلاسة الفاظها وانسجامها انسجاماً طبيعياً من ناحية، وسذاجة معانيها وصدقها وإخلاصها من ناحية ثانية تجعلها حبيبةً إلى قلب الأديب الدقيق الشعور المرهف الأحساس !

ومن المستحسن هنا أن نشير إلى أن هؤلاء الشعراء العذريين ،وكلهم ربيب البوادي والصحاري ، ما كانوا ليتنعموا بما تنعّم به زملاؤهم في حواضر الاسلام المختلفة ، في الشام والعراق ومصر وغيرها من بلاد المسلمين ، من الخيرات العميمة التي فاضت عليهم إثر الفتوحات العظيمة . وحرمانهم هذا ، أبعدهم عن الاحزاب السياسية فلم تتحرك عاطفتهم في نظم الشعر السياسي بل انقطعوا إلى نوع واحد من الغزل العفيف ، الصادق ، الساذج الذي نما وترعرع في بوادى الحجاز ووهاده وتفشى بينهم تفشياً سريعاً حتى أصبح فناً رائجاً من فنون الشعر . .

وليس من الغريب أن يجيء هذا الشعر الغزلي متشابهاً في أكثره وإن اختلف عددُ قائليه . فجميعهم كما رأينا ابناء وسطٍ واحد ، بعيدٍ عن ضوء المدنية الاسلامية الجديدة وحياتها الصخابة ، بعيدٍ عن حياة البذخ والترف والمجون ، تلك الحياة التي عرفها ابن أبي ربيعة وغرف منها غرفاً كبيراً ، ساعده على ذلك شباب ريان وجمال فتان ومال وفير وصيت عريض ! لم يعرف العذريّون هذا اللون من الوان الحياة بل انكمشوا على نفوسهم وانزووا في باديتهم ووضعوا هدفهم الاعلى في حياتهم خيال امرأة من النساء ، فراحوا يتغنون

بها في شعرهم ليلهم ونهارهم .. جعلوا الحب غاية من غاياتهم في الحياة وقدّسوه وعبدوه ثم جسّموه في شخص ليلى ولبنى وبثينة وعزّة وعفراء فرفعوا لهؤلاء النساء تماثيل في قلوبهم ، يحرقون امامها شموع شبابهم الذابل ، ويذيبون على اعتابها عصارة قلوبهم المتألمة المنسحقة ! لم يأتوا بالجديد المبتكر في شعرهم الغزلي ، ولم يتفننوا أو يبتدعوا في ذلك الحب الجديد العنيف ، فلم يضيفوا الى أوتار الشعر العربي وتراً جديداً بما لهذه الكلمة من معنى واسع صحيح !

ولكنهم كانوا سباقين الى حصر شعرهم في فن واحد من فنون الشعر . كان الغزل قبلهم تصنعاً وتكلفاً فاصبح في زمنهم خلجة قوية من خلجات النفس الصادقة ، وعاطفة جريحة تئن وتتألم ! لم يقم في العصر الجاهلي شعراء يحملون لواء الغزل وينادون باسمه في كل مجتمع وناد كما فعل اصحابنا العذريون . فامرؤ القيس ، وغزله مشهور ، لم يكن ليتعدّى بشعره الغزلي وصف اللحم والدّم والشهوة الحسية التي تتأكل جسمه والتي يبدو أثرها في كل بيت من أبياته الفاحشة ... كذلك قل في بقية الشعراء الجاهليين كالأعشى والنابغة الذبياني وغيرهما من الذين قصدوا أن يتغزلوا فجاء غزلهم حسيّاً ماجناً .

والحقيقة أن المرأة في الشعر الجاهلي لا تبدو أفضل من الناقة . فطرفة خص ناقته بعشرات الأبيات ووصفها وصفاً دقيقاً متغزلاً بكل عضو من أعضائها دون أن ينسى

بريق عينيها وصفاءهما ، كذلك قل في فرس امرىء القيس ....

ونحن لا ننكر على هؤلاء الشعراء الجاهليين تغزلهم بما كانوا يحسونه ، وانما نقرر حقيقة يعرفها كل من يدرس الأدب الجاهلي وهي أن الشعراء الجاهليين لم ينظروا إلى نفس المرأة ولم يدرسوا عواطفها أو يحللوا خلجات قلبها الحييّة ، بل اكتفوا بوصف أعضائها الجسدية وصفاً حسياً لم يختلف عن وصفهم لنياقهم وأفراسهم اختلافاً كبيراً ...

ونحن لا ندعي أن الشعراء الاسلاميين درسوا المرأة درساً تحليلياً فكشفوا عن نزعات نفسها المختلفة وحللوا عواطفها تحليلًا نقدياً تفكيرياً دون أن يهتموا بجمالات جسدها او يتغزلوا بهذه الجمالات الحسيّة غزلاً غير بريء (حتى العذريون منهم) . لا ندّعي شيئاً من هذا ، فالأدب العربي ، في عصوره المختلفة لم يستطع أن يتجرّد عن المادية تجرداً محسوساً كما يقرّر اكثر مؤرخي الأداب العربية [1] ولكنّ الاسلاميين عرفوا أن ينظروا إلى المرأة نظرة فيها من الانسانية والنبل وعواطف الحب الصادق ما لم يحلم به الجاهليون . لقد استبدلوا بهذه الخشونة الجاهلية رقة اسلامية اكتسبوها عن طريق الدين الجديد والمحيط الجديد ... لقد أصبح الشاعر الاسلامي ، باحساسه المرهف ، وشعوره الدقيق إنساناً كاملًا يشعر أن المرأة هي مخلوق لا يستغني الرجل عنه ولا تطيب نفسه بدونه ، فجاء شعره عابقاً بهذا الاحساس وذلك الشعور عبوقاً

(١) راجع حديث الاربعاء للدكتور طه حسين .

هو من ابرز صفات هذا الشعر وأصح مميزاته .

عذرية الشعراء

والذي يعجب له حقاً ان يخرج الرواة برواياتهم الكثيرة الملفقة هؤلاء الشعراء المحبين من بين العشاق الانسانيين الحقيقيين فيصوروهم لنا كأنهم عاشوا في غير هذا الكوكب، لم يحبّوا حباً انسانياً ، كما أحب ولا يزال يحب كل ذي نفس حساسة . والأعجب من هذا ان عصرهم الذي عاشوا فيه هو عصر عرف فيه الشعراء عامة ، الحب بالوانه الترابية وتمرغوا في حمأته ما شاء لهم فسقهم وفجورهم ووصفوا كل ذلك في شعرهم فجاء صورة صادقة عن ذلك العصر ...

وانت لا تكاد تطالع كتاباً من امهات الكتب الادبية العربية القديمة دون ان تصطدم باثر هذه الحياة الصاخبة ، وهذه المادية الصلبة التي تطغى على تفكير الشعراء والادباء فتلفهم بعباءتها السوداء لفاً محكما ، يضيق عليهم انفاسهم فلا ستطيعون التحليق الى فوق المادة .

ولأضرب لك بعض الامثلة عن المُثل الجمالية التي تعلق بذهن المطالع عن بعض الادباء العرب الاقدمين . يقول الجاحظ في احدى رسائله : « إن الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن أحسن . والغناء الشهيّ من الوجه الشهي والبدن الشهيّ أشهى[1] »

«1» مجموعة رسائل ص ١٦٤

ويتضح من قراءة رسائل الجاحظ في النساء أنه إنما يهتم بصفات النساء الخارجية دون الداخلية . وهكذا قل في اكثر الكتب العربية القديمة واهمها : العقد ، وعيون الاخبار ، ونهاية الأرب ، ومواسم الادب ، ومحاضرات الادباء ، والموشح ، والاغاني الخ وكثير غيرها ، وكلها تطفح بالاحاديث عن سوء نيّة النساء . فالرواة يلصقون بهنّ أشنع التهم كالخيانة والغدر والكيد واللؤم .

« النساء شرّ كلهن وشرّ ما فيهن قلة الاستغناء عنهن »

« لا تثق بامرأة ولا تغترّ بمال وان كثر ! »

« النساء حبائل الشيطان[1] »

وقال ابن عباس :

« أول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء[2] »

ومثل هذه الروايات عن النساء كثير[3] لا يهمنا الاستشهاد بها للتدليل على نظرة القوم الاجتماعية في المرأة ، بقدر ما يهمنا الاشارة الى هذه « المادية » التي تظهر في الادب العربي ظهوراً بارزاً في اوصاف الشعراء وروايات الادباء . فاحسن امرأة هي تلك التي :

« لطفت كفّاها ، وخدلت (امتلأت) ساقاها ، والتفّت فخذاها ، وعرضت وركاها ، ونهد ثدياها ، وسال خداها[4] »

«١» المستطرف ص ٢٨٧ وفيه من امثال هذه الروايات شيء كثير .

«٢» روضة المحبين ص ٢١٤ «٣» محاضرات الادباء ٢ : ١٣٩

«٤» اخبار النساء ص٧٠ ، محاضرات الادباء ٢ : ٢٤

واذا راح الشاعر يصف امرأة قال :

« وجهها كضوء البدر ، وخدها كجني الورد ، ولسانها ساحر ، وطرفها فاتر ، ضمها يهيج اللوعة ، ونطقها ينقع الغلة ، تنهض بقدّ كالقضيب ، وتدبر بكفل كالكثيب ، ثديها يرنو الى ذقنها ، شعرها لاحق بذيلها في مثل سواد ليلها ، ثغرها كاللؤلؤ النظيم يجلو دجا الليل البهيم ، ريحها كالراح المعتق ، ختامه كالمسك المفتق ، .. صحيحة الحدقة ، مريضة الجفون ، كأن ساعدها طلعة ومعصمها جمار وأصابعها مداري فضّة . وكأن نحرها من ساج وبشرتها زجاج وسرّتها من عاج ... [1]

فجميع هذه الصفات مادية حسيّة لا تتعدى جسد المرأة وجمالها الخارجي . ومثلها الكثير يملأ كتب الأصول الادبية . ولست لأزعم أن الآدب العربي القديم مجرّد عن الروحانيات تجرداً تاماً ، ولكن الباحث لا يستطيع تجاهل هذا الطغيان المادي الذي يسيطر على الأدب فيكبله بقيود ثقيلة جامدة ويقف به عند حد محدود من سمو التفكير وتحليق الخيال .. أقول هذا وأنا عالم أن الشعراء العذريين خالفوا زملاءهم الحضريين من حيث سموّ تفكيرهم ونقاوة أشعارهم وتجردهم ، بعض التجرّد عن الحب المادي الحسيّ . أقول « بعض » التجرد وأعني ما أقول . فليس لنا أن ندعي أن هؤلاء العذريين كانوا من طينة الملائكة ، وليس لنا أن نضعهم فوق البشر وهم إنما كانوا يعيشون بقلوب تتفجر إحساساً ويتدفق

(١) محاضرات الادباء ٢ : ١٣٩ – ١٤٠ .

منها شعور صادق بالحب والحياة !

هؤلاء الشعراء احبوا كما يحب كل عاشق صادق العشق ، وطلبوا في حبهم كل ما يطلبه المحب الانساني ، وثارت في قلوبهم الوالهة شهوات دموية أقضّت مضاجعهم في لياليهم الحمراء المحمومة فتزوّج منهم من استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ومن لم يستطع مات شهيد حبه وهو يطلب لقاء الحبيبة !

وشعر هؤلاء العذريين ، على نقاوته ، وعذوبته وطهارة معانيه احياناً وبعده عن رائحة اللحم والدم ، لا يستطيع أن يتجرد تجرداً تاماً عن التحسر إلى وصال الحبيبة وعن الأوصاف الحسيّة لجمالاتها الجسدية :

فيا ليت كلّ اثنين بينهما هوى
من الناس قبل الحشر يلتقيان

فيقضي محب من حبيب لبانة
ويرعاهما ربي فلا يريان !

هذا ما يتمناه عروة وقد عرف لذة الوصال ثم يكمل في وصف عفراء .

كأنّ وشاحيها اذا ما ارتدتهما
وقامت ، عنانا مهرة ، سلسان

يغص بأبدان لها ملتقاهما
ومتناهما رخوان يضطربانِ

فويلي على عفراء ويل كأنه
على النحر والأحشاء حشدُ سنان

ألا حبّذا من حب عفـراء ملتقى

نعـــم وألا لا حيث يلتقيان

*

تمنيت من وجـــدي بعفراء انـني

إزارٌ لهـــا تحت القميص يمان !

وقيـل إنه اراد بقوله ملتقى نعم والا لا شفتيها لان الشفتين يلتقيان [١]. فالذي يجب ان نفهمه من عـذريّة هؤلاء الشعراء في حبهم ، هو تفانيهم في هذا الحب وشدة تدلههم به وبذل كل غال ورخيص لديهم في سبيله ، اكـــثر من تجرّدهم عن حب الجسد وملاذه وابتعادهم عن الحبيب وهجرهم اياه هجراً جسدياً مقصوداً .

ولرب معترض يقول : ومـاذا تفعل بالروايات الكثيرة الـــتي تؤكد عـــذرية هؤلاء الشعراء وهي تملأ كتب الأدب ؟ الا تبرهن على أنهم كانوا يحبون من أجل الحب فقط ؟ الاتؤكد ان هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون القناعة المجردة مـــن كل حس مادي او حب جسدي ؟ فهل نرمي بهـــا عرض الحائط ؟

وماذا نفعل بمثل هذه الأبيات الجميلة التي تطفح منهـــا رائحة الحب الزكي المضمخ بأنفاس الطهر والعفاف ؟ !

وإني لأرضى من بثينـــة بالذي

لو ابصره الواشي لقرّت بلابـــله

---

(١) ديوان عروة وحزام – مخطوطة

بـلا وبألاّ استطيع ، وبالمـــنى
وبالأمل المرجوّ قد خاب آمـــله
وبالنظرة العجلى إذ الحولُ تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائـــلهْ !!

وهذا ليس كل شيء بل هناك ما يدعم هـــذه الأبيات ويؤكد أن جميلا كان طاهر الذيل ، عفّ الضمير واللسان ، لم يهتم بريبة قط . ولا أرى بأساً في سرد بعض هذه الروايات ومناقشتها إتماماً للبحث واليك بعضها :

حضرت جميلًا الوفاة بعد أن اعتلّ فجاءه العواد مستفسرين فاذا به ، وهو يجودُ بانفاسه الأخيرة ، يعترف لأحد الحاضرين (ابن سهل) بقوله : يا ابن سهلٍ ! ما تقول في رجلٍ لم يشرب الخمر قط ولم يزنِ ولم يقتل النفس ولم يسرق ؟ يشهدُ أن لا اله الاّ الله ؟

قال ابن سهل : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة . فمن هـذا الرجل ؟ قال : أنا . قال ابن سهلٍ : والله ما احسبُك سلمتَ وانت تشبّبُ منذ عشرين سنة ببثينة . قال : لا نالتني شفاعـــة محمد ، صلى الله عليـــه وسلم ، واني لفي اوّل يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، إن كنت وضعت يـــدي عليها لريبة [1] واكثر ما كان مني أن أسند يدها إلى فؤادي استريح ساعة . وأكدت بثينة هذه العذرية في حديثها لجميـــلة

(١) وفيات الاعيان ص : ١١٦ – ١١٧

المغنية [1] فقالت :

« والله ما أرادني جميل رحمة الله عليه ، بريبة قط ، ولا حدّثت أنا نفسي بذلك منه [2] . وتشهد جميلة ببثينة شهادة تدعم هذا القول فتقول : « كانت بثينة صدوقة اللسان ، جميلة الوجه ، حسنة البيان ، عفيفة [3] » . وقالوا إن بثينة دخلت مرة على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا بثينة : ما أرى فيك شيئاً مما كان يقوله جميل . فقالت يا امير المؤمنين: إنه كان يرنو إليّ بعينين لستا في رأسك . قال فكيف رأيتيه [4] في عشقه ؟ قالت كان كما قال الشاعر :

لا والذي تسجد الجباه له
مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها
ما كان الا الحديث والنظر

ورغم آن جميلا يقضي ليله بكامله وبثينته الحلوة فانه يخرج عند الصباح « عن مثل رائحة العنبر » :

وكان التفرق عند الصباح
عن مثل رائحة العنبر
خليلان لم يقربا ريبة
ولم يستحقا الى منكر [5]

---

(١) تزيين الاسواق ص ٤٦ . (٢) الاغاني ٧ : ١٣١ .
(٣) « نفس المصدر السابق والصفحة » . (٤) كذا في الاصل .
(٥) الديوان ص ٣٣

واذا أردنا أن نعتبر هـذه الابيات كحقيقة لا تحتمل الجدل فان هناك الكثير غـيرها من الشعر الذي لا يترك مجالاً للقارىء في أن يشك في حب هؤلاء الشعراء حبـاً انسانياً طبيعياً . بل أذهبُ الى ابعد من هذا فأزعم ان هذه الحكايات وهذه الاشعار التي يرويها الرواة مؤكدين بها عذرية الشعراء تأتي بنتيجة معكوسة لما يريدون . ألا نستطيع ان نزعم أن هذه القناعة في الحب هي قناعـة مصطنعة فرضتها على الشعراء بيئتهم الصحراوية الفقيرة وتقـاليدهم الاجتماعية الصارمة ؟ لقـد علق ابو بكر الاصفهاني صاحب كتاب « الزهرة » المشهور بين التآليف الحبية عـلى أبيات جميل المذكورة بقوله [1] : « هذه لعمري قناعة شديدة تدل على ان وراءهـا ذلة وكيـدة ، لأن من يتهيأ له من يهواه لا يقنع بأن لا يراه، وبأن يعده وعـداً الا يطالبه بوفائه . ولعمري ان هذه الحال تقرّ عين المعادي وتسخن عين الموالي » ولكنه عاد فوجد له عذراً او قل خفف عنه عبء التهمة ،

« الا انه وان كان قد بالغ في القناعة فانه قـد التمس التعلل بالوعد وبتأمين اللقاء على البعد . ومن قنع بترك اللقاء واقام على حال الوفاء كان أتم حالا [2] »

ثم كيف نفسر عثرات الابيات الشعرية لهؤلاء الشعراء العدريين وكلها تنضح باللذة الجسدية وتثور فيها نفس الشاعر وحسده؟

(١) راجع ابيات جميل : واني لارضى . . . الخ

(٢) الزهرة ص : ٩٨

وهــذه الاوصاف الحسّية الكثيرة التي تصف جسد المرأة عضواً عضوا وتصوّرها امام عينيك لوحــة من لوحات الفن الخالدة ...

وهذه التمنيات والتحسرات « للثم الثغور » « وعناق البيض ربات العيون الفتاكة » « وهصر الثديين » « ورشف الريق » « واهتزاز القوام من تحت الثياب كما يهتز غصن البان » ! ...

وهــذه المواعيد الكثيرة التي يضربهـــا العشاق لبعضهم البعض « على خلوة » « عند الاكمة » او في بيت الحبيبة حيث تحتبس حبيبها ليالي طويلة فتسكره وتختلي بهـا ثم يضطجع الى جنبهـا اضطجاعاً يصوره الرواة بريئاً وكان من الاسهل والاصح ان يصوروا كل شيء على حاله فيريحون ويستريحون !

واليك بعضاً من هذا الشعر لهؤلاء العذريين وهم يظهرون فيه في مظهر الحبيب الانساني الطبيعي . كقول جميـل في لاميته الجميلة :

ألم تعلمي يا عـــذبة الرّيق أنني
اظلّ اذا لم القَ وجهك صاديا ؟
لقد خفت ان القى المنية بغتـــة
وفي النفس حاجات اليك كما هيا ..

وفي مكان آخر :

خليليّ عوجا اليوم حتى تسلمـــا
على عـذبة الانياب طيبـة النشر

***



الحب والحياة

« واطس »

الحب والحياة

بريشة واطس (١٨١٨ ـ ١٩٠٤)

يمثّل الحبّ هنا ملكٌ قويّ خالد يقود فتاةً ضعيفة الى طريق الأمن والسعادة ويشجعها على تسلق المسالك الوعرة ، العميقة الانحدار ، وهي تلتفّ وتدور حول الصخور الملساء . تشير الصورة هنا الى وهن الأنسان وضعفه وعجزه عن التغلب على صعاب الحياة ما لم تسمُ به يدُ الحبّ القويّ من هوّة الوادي الى قمّة الجبل ، ومن البؤس والشقاء الى النعيم والسعادة .

فسوف يرى منها صدود ولم تكن
بنفسي من اهل الخيانة والغدر
اعوذ بك اللهمّ ان تشحط النوى
ببثنة في ادنى حياتي ولا حشري
وجاور اذا ما مت بيني وبينها
فيا حبذا موتي اذا جاورت قبري

***

يقولون مسحور يجن بذكرها
واقسم ما بي من جنون ولا سحر
لقد شغفت نفسي بثين بذكركم
كما شعف المخمور يا بثن بالخمر
ذكرت مقامي نيلة البان قابضاً
على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم املك اليها صبابة
اهيم وفاض الدمع مني على النحر
فيا ليت شعري هل ابيتنّ ليلة
كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر ؟
تجود علينا بالحديث وتارة
تجود علينا بالرضاب من الثغر
فياليت ربي قد قضى ذاك مرة
فيعلم ربي عند ذلك ما شكري

ولو سألت مني حياتي بذلتهـــا
وجدت بها ان كان ذلك من امري
مضى لي زمان لو اخيّر بينــه
. وبين حيـــاتي خالداً آخر الدهر
لقلت ذروني ساعـــة وبثينـــة
على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري
مفلجة الانياب لو ان ريقهـــا
يداوى به الموتى لقاموا من القبر
اذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها
أبى وأبيها ان يطاوعني شعري
فلا انعمت بعدي ولا عشت بعدها
ودامت لنا الدنيا الى ملتقى الحشر

ولست احب ان اعلق على هذه القصيدة الحلوة الصريحة فهي تبرهن ان جميلا رغم عذريته وعفة نفسه ، كان رجلا يفهم الحب كما يجب ان يفهم ! ان جميلا وزملاءه المشاق لم ينقطعوا ساعة واحدة عن التفكير في حبيباتهم بل لم يتورعوا عن زيارتهن وضرب المواعيد لهن ليلا في اماكن مختلفة . ولا ادري ماذا نقصد بالحب العذري عند جميل وهو لم ينقطع عن زيارة بثينة حتى بعد زواجها [١] .

وكيف يكون حبه عذرياً وقد احتبسته مرة عندها مدة ثلاث ليال [٢] ؟ بل ما معنى العذرية وجميل يسكر ويختلي بحبيبته

(١) الاغاني ٧ : ٨٦ (٢) الاغاني ٧ : ٨٩

بعد زواجها ؟ اين الحب البريء بعد السكر ؟ بل اين الحب البريء بعد الاضطجاع جنباً الى جنب ؟ لو كان حبها عذرياً لما استطاعت بثينة ان تعلق رجلا آخر غير جميل هو حجنة الهلالي[1] !

لو كان حبهما عذرياً لما كان يغار عليها جميل هذه الغيرة الشديدة التي حملته ان يطلب من غريمه توبة بن حمير الصراع والنضال والسباق ، وذلك لان بثينة كانت تنظر اليه[2] حتى روي ان جميلًا لشدة غيرته وسوء نيته في بثينة كان يقول : « ما رأيت مصعباً[3] يختال بالبلاط الا عرف على بثينة وهي بالحباب وبينهما مسيرة ثلاث[4] .

واذا ضربنا صفحاً عن كل ما قلناه واردنا تصديق هذه الروايات المزوّقة الجميلة عن عذرية هؤلاء الشعراء فما يكون موقفنا من شعرهم الطافح بالاوصاف الحسية ؟ اليست هذه الاوصاف صدى لما يجول في نفوس اصحابها إن كانوا صادقين؟

كأن فتيت المسك خالط نشرها
تقل به اردافها والمرافق
تقوم اذا قامت به عن فراشها
ويغدو به من حضنها من تعانق[5]

---

(١) الاغاني ٧ : ٩١ (٢) الاغاني ١٠ : ٨٠
(٣) هو مصعب بن الزبير (٤) الزهرة ص ٨٢
(٥) الاغاني ٧ : ٩٤

وهل يكون مسّ الجلد ، ورشف الريق ، ولثم الثغر من الامور العذرية في الحب ؟

حلفت يميناً يا بثينـــة صادقاً
فان كنت فيها كاذباً فعميتُ
اذا كان جلد غير جلدك مسّني
وباشرني دون الشعـــار شريت
ولو ان راقي الموت يرقى جنازتي
بمنطقهـــا في الناطقين حييت[1]

وقال :

تذكر منها القلب ما كان ناسياً
ملاحة قول يوم قالت ومعهـــدا
فان كنت تهوى او تريد لقاءنا
على خلوة فاضرب لنا منك موعدا
فقلت ولم املك سوابق عـــبرة
أأحسن من هذا .. العشيّة موعدا؟
فقالت اخاف الكاشحين وأتقي
عيوناً من الواشين حولي سهدا[2]

وهذه الخلوة التي تمنتها بثينة حصلت على مثلها كثيراً من المرات ، هناك عند « الأكمة » وما ادراك ما الأكمة؟ حيث كان يجتمع جميل ببثينة يحدثها وينشدها الاشعار العـــذاب وعيون الحساد في عمىً « حـــتى إذا كان السحر » كان

(١) ذيل الامالي ص ٦٨ (٢) الزهرة ص ٦٣

يضع رأسه في حجرها فينام ساعات طوالا « حتى يبرق الفجر [1] » ...

يريدونك أن تصدق كل هذا واكثر من هذا والا تسيء الظن بهذه الخلوات الشعرية الرومانطيقية والا فأنت لست بعذري .

واخيراً هنا أبيات تروى على انها لجميل ، ترينا ، ان صحّت نسبتها ، أن حبّ هذا الشاعر لم يعرف العذرية قطّ :

ما زلت أبغي الحيّ أتبعُ فلّهم
حتى دفعت الى ربيبة هودجِ
فدنوت مختفياً ألمُّ ببيتها
حتى ولجت الى خفيّ المولج
فتناولت رأسي لتعرف مسّهُ
بمخضّب الاطراف غير مشنج
قالت وعيشِ أخي وحرمة والدي
لأنبهن الحي إن لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتبسمت
فعلمت ان يمينها لم تحرج
فلثمتُ فاهاً آخذاً بقرونها
شربَ النزيف ببرد ماء الحشرجِ [2]

---

(1) اخبار النساء صفحة ١٠٠

(2) وفيات الاعيان ١ : ١٦١ والديوان ص ١٦ راجع تعليقاً عليها في الاغاني ١ : ١٩١ دار الكتب المصرية .

ولا أدري لِمَ هذا الاهتمام الشديد في جعل هؤلاء الشعراء غير ما هم عليه ومحاولة تصويرهم على غير حقيقتهم حتى ظهروا لنـــا كأنهم من سكان الصوامع والكهوف او من دراويش المتصوفة !! والحقيقة أنهم بشر بل من صميم البشر وانما تميزوا عن عامة الناس بشعورهم الدقيق الفياض الذي ظهر لك في مـا ذكرناه وسنذكره من شعرهم .

اما زيارات المجنون لليلى حتى بعد زواجها فكانت كثيرة متعددة ، لم يتورع الرواة عن ذكرها باسناد ، قيل :

إن زوج ليلى وأباها خرجا في امر طرق الحي إلى مكة، فأرسلت ليلى بأمةٍ لها ، إلى المجنون ، فدعته فأقام عندها ليلة فأخرجته في السحر وقالت له سر الحيّ في كل ليـلة ما دام القوم سفراً » . فكان يختلف اليها حتى قدموا . وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودعته .

تمتع بليلى إنمـــا أنت هامةٌ
من الهام يدنو كل يوم حمامهـــا
تمتع الى أن يرجع الركبُ إنهم
متى يرجعوا يُحرم عليك كلامها [١]

والغريب أن ليلى لا تجد جوابــاً لمن يأتي متشفعاً لقيس عندها سوى قولها : « صبري وصبره أو يحكم الله بيننـا وهو خيرُ الحاكمين ! [٢] » وهكذا أجابت عفراء عندما قيل ، وقـــد

(١) الاغاني ٢ : ٧

(٢) اخبار النساء ص ٢٥ .

بلغها ما نزل بعروة فكادت تبوح بسرها ، أما عندك له حيلة تخفف ما به ؟ فقالت : والله لأنا أسرّ بذلك واشوقُ اليه منه ولكن لا سبيل إلى احتمال العار ودخول النار [1] .

وقيل لبثينة ؟ هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة تنفسين بها وجده ؟

فقالت ما عندي أكثر من النظر إلى ان ألقاه في الدار الأخرى أو زيارته وهو ميت تحت الثرى . وقيل لعتبة بعد موت عاشقها : « ما كان يضرّك لو كنتِ أمتعتيه [2] بوجهك ؟ قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ومخافة الجبار . وان بقلبي أضعاف ما بقلبه . غير اني أجدُ ستره أبقى للمودة واحمد للعاقبة وأطوع للرب وأخفّ للذنب [3] .

فانت ترى أن الحاجز بين الحبيبين هو التقاليد الاجتماعية وخوف الفضيحة أكثر مما هو رادع نفساني داخلي .

والغيرة التي رأيناها شديدة عنيفة في جميل لا نراها عند المجنون أقل شدة واخف عنفاً . فهو يغارُ عليها من زوجها ؟ ولماذا ؟ لأنه يتجاسر على تقبيل امرأته ...

بربك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبّلْتَ فاها ؟

---

(١) اخبار النساء ص ٢٥ .

(٢) كذا في الأصل

(٣) روضة المحبين ص ٢٧١ .

وهـل رفت عليك قرون ليلى
رفيف الاقحوانة في نداهـــا ؟ [1]

وعندما يجرؤ الزوج المسكين على أن يجيبه نعم يصرخ المجنون ويقبض الجمر بكلتا يديه ويسقط مغشياً عليه فيأكل الجمر لحم راحتيه ويقوم الزوج كئيباً مغموماً !!

وجاء في ديوان المجنون انه التقى مرة وزوج ليلى فتقدم الاخير من قيس وسلم عليه وأنشد :

ومن عجب جنونـك في فتاةٍ
مزوّجة سواك ولن تراهـــا
أيا مجنون كم تهوى بليـــلى
كأن الله لم يخلق سواهـــا

فرفع قيس رأسه إلى زوج ليلى وأنشد :

أفي كل يوم انت تحظى بقربهـــا
وتلثمُ فاها ثم تهصرُ ثدياها [2] ؟
وتضمم أردافاً ثقالاً وقامـــة
وتنشقُ من ليلى العشية ريّاها
وفي كل حـــين انت بالله لازمٌ
محاسنها مستمتعٌ بحلاها .. ؟

وللمجنون أوصاف حسيّة في جمال ليلى وأعضائهـا عضواً عضواً تشكل ، في عرف أنصار العذرية ، جرمـــاً لا يغتفر

(١) تزيين الاسواق ١ : ٧٦ الاغاني ١ : ١٧٦ .
(٢) كذا في الآصل

ضد قيس

أحنّ إلى لثم الثغور الضواحك
واهوى عناق البيض لون التنابك
وأصبو الى ذات الصبا عن صبابتي
إذا لم يكن لي في الهوى من مشارك
أرى السمر احلى في فؤادي شمائلاً
من البيض ربات العيون الفواتك [1]

فأنت تراه حريصاً على السمراوات الجميلات حرصه على البيض ربّات العيون الفتّاكة !! ويظهر ان المجنون كان يحب غير ليلى أو هو عرف ، على الأقل ، قيمة المرأة وقدّرها قبل ان يعلق قلبه بحب ليلى وفي ذلك يقول :

محا حبها حب الألى كن قبلها
وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل [2]

وكان اذا لقيه احدُ أصحابه او ابناء عشيرته أخذ يلومه ويعنّفه على هــذا التشهير بليلى فكان قيس لا يهتم ولا يصغي . قال رجل من بني عامر :

رأيت المجنون عنـد قفوله عن البيت الحرام فقلت له : ويحك استشعر الصــبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب واعلم أنك لا تصل الى الحبيب الا بالستر ونفيك الشنعة ، فان التهتك يقطع مواد الغبطـة . وليس للمتهتوك إلفــة .

(١) ديوان مجنون ليلى ص ١٦٢ .

(٢) الاغاني ١ : ١٨٤

والمستور طويل مدّة الغبطة . فكان جوابه :

ان الغواني قتلت عشاقها
يا ليت من جهل الصبابة ذاقها
في صدغهن عقارب يلسعننا
ما من لسعن بواجد ترياقها
ان الشفاء عناق كل خريدة
كالخيزرانة لا تمل عناقها
بيض تشبّه بالحقاق ثديّها
من عاجة حكت الثديّ حقاقها
يدمي الحرير جلودهن وانما
يكسين من حلل الحرير رقاقها
زانت روادفها دقاق خصورها
إني أحب من الخصور دقاقها !
إن التي طرق الرجال خيالها
ما كنتُ زائرها ولا طرّاقها [1]

فهل بعد هذه الاوصاف من شك في ان قائل هذا الشعر إنسان ؟ وأنه ليس من طغمات السرافيم او الكرابيم وان منزله الذي كان يسكنه لم يكن السماء ولا المريخ بل كان نجداً بما فيه من آكام رملية ووهاد صحراوية ونخيل وغدران وروابٍ ومنخفضات ، وطبيعة هادئة ساحرة تطمئن اليها نفوس العشاق فتحملهم على الاسترسال في حبهم حيث

(١) الديوان ص ١٣٨ - ١٣٩

تطيب للنفس مناجاة حبيبها وتأنس الى أليفها !

ونظم المجنون الكثير من مثل هذا الشعر الصريح الذي توسله النفس طبيعياً في ساعة خاصة من حياة الشاعر لا تمرّ به دائماً هي ساعة يغمض عينيه عن أشباح هذا العالم ليتطلع الى اعماق نفسه ويرى فيها نفس حبيبه فيتناجيان بألحان عذبة على القلوب الواعية الكبيرة ولكنها تخدش بما فيها من جرأة وصراحة وحب وجمال ، آذان من يدّعون المحافظة على العفة والطهارة والعذريّة !

ان قيساً في قوله :

اذا نظرت نحوي تكلم طرفها
فجاوبها طرفي ، ونحن سكوت
ولو خلط السم المذاب بريقها
واسقيتُ منه نهلةً ، لبريت

يبدو لي إنساناً صحيحاً أقرب الى الكمال الانساني ، منه عندما يصوّره الرواة مجنوناً تائهاً في البراري والحقول ، يأكل العشب ويرعى مع البهائم !

كذلك هو يبدو محباً طبيعياً عندما تقرأ له مثل هذا الشعر :

ومفروشة الخدين ورداً مضرجاً
اذا همشته العين عاد بنفسجا
شكوت اليها طول ليلي بعبرة
فأبدت لنا بالغنج دراً مفلّجا

فقلت لهـــا مُني عليّ بقبلةٍ
أداوي بها قلبي فقالت تغنجا
بليتُ بردف لست اسطيع حمله
يجاذبُ أعضائي اذا ما ترجرجـا

ولكنّ الرّواة لا يرضيهم أن يروا إقراراً صريحـاً في مثل هذا الشعر فرووه ، مدّعين ان الشاعر ، إنمـــا نظمه ليغيظ زوج ليلى :

فان كان فيكم بعلُ ليـــلى فانني
وذي العرش قد قبلتُ فاها ثمانيا
وأشهد عند الله إني رأيتها
وعشرون منها ، اصبعاً من ورائيا

ولكنّ هؤلاء الرّواة ، لله درهم ! ألم يـبرئوا عمر ابن ابي ربيعة من الفسق والفجور فيحملوه على التوبة والتنسك في آخر حياته ؟

روى الأصمعي قال :

بصرت الثريا بعمر ابن أبي ربيعـــة وهو يطوف حول البيت فتنكرت وفي كفها خـــلوق فزحمته فأثر الخلوق فيّ ثوبه ، فجعل الناس يقولون : يا أبا الخطاب ما هـذا زي المحرّم . فأنشأ يقول :

ادخـــل الله رب موسى وعيسى
جنة الخلد ، من مـــلاني خلوقا

مسحت كفها بجيب قميصي
حين طفنا بالبيت ، مسحاً رفيقا

فقال له عبدالله بن عمر : مثل هذا القول في هذا الموضع ؟ فقال : « يا ابا عبد الرحمن قد سمعت مني ما سمعت . فورب هذه البنيّة ما حللت إزاري على حرام قط [1] » فما هو الحرام بعرفه يا ترى !

كذلك ادعى الزبير بن بكار قال : لم يذهب على احد من الرّواة أن عمر كان عفيفاً ، يصفُ ولا يقف ويحوم ولا يردُ [2] .

وهذا الذي يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد هو صاحب المجازفات الحبيّة العظيمة والوقائع النادرة التي تملأ اخبارها كتب الادب والتي كانت السبب في تلقيبه عن جدارة واستحقاق بلقب « الفاسق »

فكيف يمكننا ان نصدق هؤلاء الرّواة وان نعتمدهم اعتماداً كلياً ، خاصة المتحرجين منهم الذين يهمهم أن يتوب جميع الشعراء !

وما ذكرناه لجميل والمجنون من الشعر التهتكي يمكن ذكر مثله لقيس بن ذريح وعروة بن عفراء ، خاصة وان هذين الأخيرين قد تزوجا وعرفا عن المرأة ما لم يستطع الاثنان الأوّلان معرفته . قال ابن ذريح :

(١) روضة المحبين ص ٣٦٦ - ٣٦٧

(٢) الاغاني ١ : ٥٣

يا اكمل الناس من قرن الى قدم
واحسن الناس ذا ثوبٍ وعريانا !
نعم الضجيع ، بعيد النوم تجلبه
اليك ممتلئاً نوماً ويقظانا !

وقال :

أتبكي على لبنى وانت تركتها
وانت عليها بالملا أنت أقدرُ ؟
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت
عليّ فللدنيا بطون واظهرُ
لقد كان فيها للامانة موضعٌ
وللكف مرتادٌ وللعين منظر
وللحائم العطشان ريٌ بريقها
وللمرح المختال خمرٌ ومسكرُ
كأني لها ارجوحةٌ بين أحبلٍ
اذا ذكرةٌ منها على القلب تخطرُ

« واصطلح الباحثون في العشق والعشاق واحوالهم على أن قيساً هو رأس اهل الهوى لأنه عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمي بغصّة البعد والفراق . وذلك عند العقلاء أبلغ وأعظم وارفع في مقاساة الغرام وافخم . وفيه تلميح بما ذكر في التفضيل بين البشر والملائكة [1] » . فرئاسة أهل الهوى شيء استحقه قيس لأنه عرف لذة الوصل ثم رمي بغصّة البعد .

(١) تزيين الاسواق ١ : ٦٢

والذي يبدو للباحث ان هذا الشرط (معرفة لذة الوصل) أساسيٌ في الحب وفي رئاسة اهل الهوى . وقد صرّح بـــه اكثر علماء العرب وادبائهم من أقدمين ومحدثين . فقــد جاء في روضة المحبين « فاللذة الـتي لا يعادلها شيء لا تكمل حتى يأخذ كل عضو من البدن بقسطه من اللذة فتلتذّ العين بالنظر إلى المحبوب والأذن بسماع كلامه ، والأنف بشمّ رائحته ، والفم بتقبيله ، واليدُ بلمسه ... وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها وتقابله من المحبوب . فان فُقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له ، فلا تسكن كل السكون . ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس اليها [1] . قال الله تعالى : ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجــــاً لتسكنوا اليها [2] .

كذلك رأى العرب ان المسألة طبيّة ... « اتفق رأي العقلاء من الاطباء وغيرهم في مواضع الادوية ان شفاء هــذا الداء (داء المحبين) في التقاء الروحين والتصاق البدنين[3] لذلك نرى ان ابن قيم الجوزية ، وهو من اعمق علمـــاء العرب في دراسة الحب وتحليـــله ، يستشهد باحاديث النبي الكريم التي تحبّذ الزواج وتحثّ عليه مثل الحديث : « لم ير للمتحابين مثل النكاح[4] » ويقول ابن الجوزيه : « كان النبي يختار النكاح

---

(١) روضة المحبين ٢٣٣ (٢) سورة الروم الآية ٢١

(٣) روضة المحبين ص ٢٢٨

(٤) نفس المصدر السابق .

ويحثّ عليه ، ونهى عن التبدّل ، فمن رغب عن سنّـة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق[1] .

واذا عدنا ندرس بعض علماء الاجتماع والمفكرين الغربيين الحديثين نجد ان قسما كبـيراً منهم يدّعي بان اساس الحب هو الشهوة الجسدية وانه ليس هناك فاصل يميز هذه الشهوة عن الحب.

« والغريب ان كل عاشق حاول ان يخلق الحب خلقـاً جديداً ويبدعه إبداعاً مستقلا يتفق مع ميوله واهوائه . ومع ذلك فقد ظل الحب هو هو لا يتغير ، ظـلّ غريزة جنسية تجملها أفانين الخيال وتلطفها وتخفف من حدّتها وتحمل الانسان على تناسيها او نسيانها[2] .. »

وخصّ الفيلسوف شوبنهور الحب الجسدي ببحث مستفيض قال فيه :

« إن الشعراء في كل زمان ومكان ، تغنوا بهـذا الحب الجسدي في اشعـارهم واقبلت الشعوب في كل العصور على هذا الشعر . وهذا برهان ساطع على ان هذا الحب هو حق وإلا لما اقبلت عليه الشعوب على اختلاف انواعها[3] »

ثم يقول في مكان آخر : « ان العنصر المهم في الحب ليس في الحب المتبادَل بل في امتلاك الحبيب بل في اللذة الجسدية[4]

وهذا القول صريحٌ لايقبلُ الشرح والتأويل وهو قولٌ جريءٌ رغم مناقضته ما جاء عن افلاطون في كتابه المائدة . وقام في اوربا

---

(١) روضة المحبين ص ٢٣٠ (٢) مدام دي تنير تاريخ الحب ص : ٥

(٣) Sch openhauer — Selections ص ٣٣٣

(٤) نفس المصدر السابق ص ٣٣٨

أنصار كثيرون لشوبنهور يدينون بنظريته هذه منهم ، الأطباء والعلماء والروائيون أمثال فكتور مرغريت الفرنسي في كتابه « الغلامة » ، ومثل د . ه . لورنس الانكليزي في روايته «عشيق اللادي شاترلي»، وماري ستوبس في كتابها «الحب والزواج» ولسنا في معرض تشريح هذه النظريات وإن كانت جديرة بالدّرس والتشريح خوفاً من الأطالة والخروج عن هدفنا الأسامي . ولكن لا بدّ من القول إنّ الحب الجسدي الذي يخافه جماعة العذريين هو عنصر مهم في حياة الحبيبين وإنه ضروريّ وإن لم يكن هو الغاية الأساسية من الحب ... نقول ذلك ونلحّ بصورة خاصة على الشطر الأخير منه وهو : أن غاية الحب ليست مطلقاً في الحب الجسدي .



وليعلم شباب بلادي الذي يحصر الحب في نظرة من عينيه ، او لمسة من يديه ، او خفقة من فؤاده ، أن الشاب مهما تبذل وانحط في حبه ، ومهما عبث بالنساء وأراق على مذبح فجوره وآثامه دم فؤاده وعصارة شبابه ، فلن يجد السعادة الصحيحة القصوى والحياة الهادئة الرّحبة الا ّ في حب امرأة واحدة حباً روحانياً صادقاً كاملاً ...

وللشباب العربي الطالع ، ومن قلبه الذبيح المحموم ، قطعٌ مدّماة ، على كل درب ٍ وفي كل زاوية ، لهذا الشباب التائه في دروب الحب والجمال ، قدوةٌ ومثالٌ في هؤلاء الشعراء العذريين . فهم شعراؤنا وقد نبضت قلوبهم كما تنبض قلوب الانسانية الحساسة

فعاشوا انسانيين في حبهم فلم ينحطوا ولم يتبذّلوا فيتحوّل حبهم إلى شهوة ملحة غاصبة بل ارتفعت بهم شهواتهم الجسدية فأصبحت حباً انسانياً شريفاً كاملاً !

المصادر حسب ترتيبها التاريخي

أفلاطون ، مائدة افلاطون ، كلام في الحب . نقل محمد لطفي جمعه . مصر مطبعة التأليف .

عروة بن حزام ، ديوان عروة بن حزام واخباره . مخطوطة في حوزة الاستاذ جبرائيل جبور كتبت سنة ١٣٢٠ هـ .

مجنون ليلى ، شرح ديوان مجنون ليلى لمحمود كامل فريد . مصر مطبعة مصطفى محمد .

جميل بثينة (٨٢ هـ) ديوان جميل بثينة جمع بشير يموت . بيروت المطبعة الوطنية سنة ١٣٥٢ هـ

ابن ابي ربيعة (٩٣ هـ) ديوان عمر ابن أبي ربيعة نشر Paul Shwarz ليبسك سنة ١٣١٨ هـ.

ابن سلاّم (٢٣١ هـ) طبقات الشعراء لمحمد بن سلاّم الجمحي . ليدن سنة ١٩١٣ هـ.

الجاحظ (٢٥٥ هـ) مجموعة رسائل لابي عثمان عمر الجاحظ .

ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) الشعر والشعراء لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة . مطبعة الفتوح مصر سنة ١٣٣٢ هـ .

ابن قتيبه (٢٧٦ هـ) عيون الاخبار — دار الكتب . مصر سنة ١٣٤٩

المبرّد (٢٨٥ هـ) الكامل لابي العباس محمد بن يزيد الأزدي . ليبزك سنة ١٨٧٤ م

الاصفهاني (٣٥٦ ﻫ) الاغـاني لابي الفرج علي بن الحسين . مصر – بولاق سنة ١٢٨٥ ﻫ .

القالي (٣٥٦ ﻫ) الامالي لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي . مصر، بولاق سنة ١٣٦٨ ﻫ .

السراج (٣٧٨ ﻫ) اللمع في التصوّف لابي نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي . ليدن سنة ٩١٤ م .

المرزباني (٣٨٤ ﻫ) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لمحمد ابي عبيدالله المرزباني . مصر المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ ﻫ .

ابن النديم (٣٨٥ ﻫ) الفهرست لمحمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم . مصر المطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٨ ﻫ .

الحصري (٤٥٣ ﻫ) زهر الآداب وثمر الالبـاب لابي اسحاق الحصري القيرواني . نشر زكي مبارك . مصطفى محمد .

السراج (٥٠٠ ﻫ) مصارع العشاق للشيخ ابي محمد جعفر بن احمـد بن الحسين السراج . القسطنطينية سنة ١٣٠١ ﻫ .

الاصبهاني (٥٠٢ ﻫ) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لابي القاسم حسين بن محمد المعروف بالرّاغب الاصبهاني . مصر المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٦ ﻫ .

الشريشي (٥١٩ ﻫ) شرح المقامات الحريرية لابي العباس احمـد بن عبد المؤمن الشريشي، مصر بولاق سنة ١٣٠٠ ﻫ

ياقوت الرومي (٦٢٦ ﻫ) ارشاد الاريب الى معرفـة الاديب او معجم الادباء لشهاب الدين ياقوت بن عبـدالله الحموي الرومي . اعتنى بتصحيحه الاستاذ مرغليوث . مصر . مطبعة هندية سنة ١٩٢٥ م .

ابن خلكان (٦٨١ ﻫ) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان للقاضي احمد ابن محمد بن خلكان مصر، بولاق سنة ١٢٧٥ ﻫ .

ابن ابي حجلة (٧٢٥ ه) ديوان الصبابة لاحمد ابن ابي حجلة المغربي على هامش تزيين الاسواق . بولاق سنة ١٢٩١ ه .

النويري (٧٣٣ ه) نهاية الارب في فنون الادب لاحمد بن عبدالوهاب النويري . دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢ ه .

ابن قيم الجوزية (٧٥١ ه) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابي عبدالله محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية . دمشق ، مطبعة الترقي سنة ١٣٤٩ ه .

ابن القيم الجوزيه (٧٥١ ه) اخبار النساء . مصر سنة ١٣٠٧ ه مطبعة التقدم .

الابشيهي (٨٥٠ ه) المستطرف في كل فن مستظرف لاحمد الابشيهي مصر بولاق سنة ١٢٩٢ .

الاصفهاني (٩٠٩ ه) الزهرة ، تأليف ابي بكر محمد بن ابي سليمن الاصفهاني نشر نيكل . بيروت مطبعة اليسوعيين سنة ١٩٣٢ م .

الانطاكي (١٠٠٨ ه) تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لداود الانطاكي . مصر بولاق سنة ١٢٩١ ه.

البغدادي (١٠٩٣ ه) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي بولاق سنة ١٢٩٩ ه

طه حسين : حديث الاربعاء . مصر مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٦ ه

محمود البشبيشي : الفرق الاسلامية . مصر المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٠ه

جبرائيل جبور : عمر ابن ابي ربيعة . بيروت المطبعة الاميركانية

مارسيل تنير : تاريخ الحب ترجمة ابراهيم المصري . دار الهلال سنة ١٩٣٧م

عبدالله غانم : كتاب الاجيال . مطبعة العرائس بكفيا .

عبد اللطيف الطيباوي : التصوف الاسلامي العربي . مصر دار العصور سنة ١٩٢٨ م .

1— The Dialogues of Plato . By B. Jowett 1889

2 — Larousse du XX siécle par P. Augé

3 —Schopenhauer.selections By De witt H. Parkeu 1928

فهرست الموضوعات

فهرست الصور الفنية

١٩٤٧ - ٥ - ٧٦

ثمن النسخة من « الحب العذري »
٢٠٠ قرش او ٢٢٠ مليا او ملّا او ملساً

متعهد التوزيع : شركة فرح الله وحتي ٠
تطلب في مصر من مكتب الكشاف للنشر ٣٩ شارع سليمان باشا — القاهرة ٠
وفي العراق من المكتبة العصرية - بغداد ٠

مطبعة الكشاف بيروت

